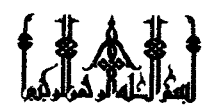
المصابيح اللمع
من دروس رمضان والجمع

ذ. محمد بوشطاط



الكتاب: المصابيح اللمع من دروس رمضان والجمع

المؤلف: محمد بوشطاط

الطبعة الأولى 2005

الإيداع القانوني: 1392 / 2005

مطبوعات الهلال

وجـــدة

إهـــداء

إلــى كــل من دعــا إلى الله مخلصاً

إلى كل المحسنين الذين ساهموا في

إعــادة بنــاء مسجد قباء

مقـــــدمة

الحمد لله الذي منّ علينا بالإيمان والإسلام، وتفضّل علينا ببيان الشرائع والأحكام، ووعد من اتبع هُداه بالجنة في دار الدوام، وأشهد أن لا إله إلا هو الملك العلاّم، وأصلّي وأسلم على خير من صلّى وصام، سيدنا محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام.

وبعد فإنّي جمعتُ بعون الله وتوفيقه في هذا الكتاب فوائد ومواعظ ونصائح، وأحكاماً ووصايا، وآداباً وأخلاقاً فاضلة من كلام الله جل جلاله، ومن حديث رسول الله ﷺ، وكلام أئمة السلف، وصالح الخلف الذين امتثلوا في أقوالهم وأفعالهم لأوامر الله تعالى، وهدي رسوله عليه الصلاة والسلام، وهي في مجموعها دروس قدمتها في بيوت الله تعالى في ليالي شهر رمضان المبارك ضمن دروس الوعظ والإرشاد، ومنها ما كنت أقدمه أيام الجمع قبل الخطبة في فترات زمنية لا تتجاوز العشرين دقيقة. لذلك كانت هذه الدروس متنوعة، فكانت إجابات على أسئلة طُرحت عليّ، وأخرى حسب أحداث وقعت وأخرى طلب منّي الناس إلقاءها إما لتصحيح العقيدة، وإما للتربية كالإصلاح بين الناس، وتسوية الصفوف، وآداب المسجد، وغير ذلك مما طُلب منّي. لذلك أوردتها حسب الدوافع التي دفعتني إليها، ولم أراع الترتيب، فكان المجلس يتطلب مني الإيجاز والتوضيح، مما اضطرني إلى تقسيم بعض المواضيع إلى أكثر من حصة.

لقد بذلت في هذا العمل جهدي وحسب معرفتي واطلاعي معتمداً على مصادر ومراجع وفتاوى العلماء الذين أضاءوا الطريق للناس وبذلك اقر أنني لم أتطاول على الفتوى لأنني لست أهلا لها. واسأل الله الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز الجبّار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفور الودود المبدئ المعيد الفعّال لما يريد. أساله سؤال الخاشع الخاضع لجلاله أن يفتح لدعائي باب القبول والإجابة وأن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم وينفع به من قراه أو سمعه ويأجر من نشره بين الناس ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

محمد بوشطاط

إخلاص العبادة لله وحده

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، باسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد النبي الأمي الأمين ومعلم الأميين، إمام المخلصين وسيد الأنبياء والمرسلين.

وبعد: يقول الله تعالى في آخر سورة الكهف: ﴿ **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليَّ أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً .** ﴾ (سورة الكهف الآية 11.)

فضائل سورة الكهف

عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "من قرأ ثلاث آيات من سورة الكهف عُصِم من فتنة الدجال."(رواه الترمذي وقال حديث صحيح).

وفي حديث آخر: "من قرأ الكهف كلها كانت له نوراً من الأرض إلى السماء ." (انظر هذا الحديث في تفسير الزمخشري)

أما عن فضائل الآية موضوع درسنا ،فقد رُوِي أن رسول الله ﷺ قال: "من قرأ عند مضجعه: "قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليَّ أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يُشرك بعبادة ربه أحداً" كان له من مضجعه نور يتلألأ إلى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه وإن كان

مضجعه بمكة كان له نور يتلألأ من مضجعه إلـى البيـت المعمـور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ".

سبب نزول الآية

علاقة بسبب نزول سورة الكهف. وبعد أن أتم الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ قصة أهل الكهف وأخبار الفتية وأتبعها بمجموعة مـن القصص وأخبار الأولين. قال: يا محمد قل لهؤلاء اليهود﴿**إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد...**﴾ الآية

ثم يأتي سبب آخر لنزول ما بقي من الآية وهو أن رجلاً يسمّى جندب بن زهير جاء رسول الله ﷺ فقال:" يا نبي الله إني أعمـل العمـل لله فإذا اطّلِعَ عليَّ سرّني." وفي رواية قال "يا نبي الله. إنّي اقف الموقف أريد به وجه الله. وأحب أن يُحمد موقفي." أو" أن يُرى موطني".

فكان جواب رسول الله أنه سكت عنه حتى نزل قول الله:﴿**قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا.**﴾ وفي رواية أنه ﷺ قال له :"إن الله لا يقبل ما شورك فيه " وفي أخرى قال له:"لك أجران أجر السّر وأجر العلانية إذا قصد أن يُقتدى به .

الشاهد في هذا الدرس هو قوله تعالى:﴿**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يُشرك بعبادة ربه أحداً.**﴾ ومعنى قوله تعالى: ﴿**لا يشرك بعبادة ربه أحداً.**﴾ لا يجعل له شريكاً في العمل أي يجب أن يكون العمل

خالصاً لله لا رياء فيه.ففي الحديث القدسي: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "قال الله تعالى **﴿أنا أغنى الشركاء عن الشرك،من عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشركه﴾** الحديث رواه مسلم في صحيحه.

ومعنى الحديث أن أي عمل يُقصد به غير وجه الله فهو شرك، فقد يعمل الرجل عملاً ويريد أن يراه شخص آخر ليحمده عليه فهو رياء، لأنه يريد إشراكه في الأجر ولأنه يرجو منه الثناء وهو شرك.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:" قال رسول الله ﷺ: "الا اخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا بلى، قال"الشِّرك الخفيّ، يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لِما يرى من نظر الرجل إليه.

وسماه بالشرك الخفي لأن صاحبه يُظهر الإخلاص لله، ويخفي ما أراد من حب الظهور.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: " قال رسول الله ﷺ: من أحسن الصلاة حين يراه الناس، وأساءها حين يخلو، فتلك استهانة استهان بها ربه."رواه الحافظ.

وفي نفس الباب يرى ابن القيم رحمه الله أن الشرك الأصغر هو يسير الرياء أي قليله، والتصنع للخلق والحلف بغير الله، وقول الرجل "ما شاء الله وشئت"و"اريد من الله ومنك" "انا بالله وبك".ليس لي إلا الله وأنت"... وقد يكون هذا الشرك بحسب قائله.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "تعرض أعمال بني آدم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة في صحفٍ مُختمة فيقول الله تعالى:﴿ألقوا هذا واقبلوا هذا ﴾ فتقول الملائكة :يا رب ما رأينا منه إلا خيراً، فيقول :﴿إن عمله كان لغير وجهي ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما أُريدَ به وجهي﴾

ويروي الإمام أحمد في مسنده أن الشدّاد بن أوس رضي الله عنه بكى يوماً، فقيل له :"ما يبكيك؟" قال: "سمعت شيئاً من رسول الله ﷺ فأبكاني، فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: "اتخوف على امتي الشرك والشهوة الخفية. فقلتُ : يا رسول الله اتشرك امتك من بعدك؟ قال:"نعم،أما إنهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً، ولا حجراً ولا وثناً، ولكن يراؤون بأعمالهم . والشهوة الخفية أن يصبح أحدهم صائماً فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه".

إن النفس أكبر عدوٍ للإنسان، وهي أخطر على صاحبها من الشيطان، فالشيطان قد يُطرد بالاستعاذة أو بتلاوة القرآن، أما النفس فهي ملازمة الإنسان فهي توسوس له بما لا يوسوس له به الشيطان. وتدفع به إلى الكبر والرياء وهما من شر الموبقات، لذلك وجب اتخاذ الحذر منها، ومجاهدتها وكبح جماحها ومخالفة هواها وإخلاص العمل لله تعالى . فقد ورد في الحديث أن أول من يُقال لهم يوم القيامة ثلاثة: رجل عالم ورجل كان ذا مال ينفقه ورجل كان يحارب ويقاتل مع المسلمين، فيُدعى الأول فيذكر بما كان عليه في

الدنيا فيسأله ربه وهو أعلم به فيقول له: عبدي قد علمتك ما لم تكن تعلم وميزتك عن غيرك بالعلم. فماذا فعلت به؟ فيقول كنت أعلمه الناس وانفع به غيري. فيقول له الله: كذبت وترد الملائكة من بعده كذبت. فيقول له إنما فعلت ليُقال لك عالم فقد قيل لك فيردُّ عليه عمله فيقذف في النار. ثم يُؤتى بالثاني فيسأله ربه وهو أعلم به: عبدي قد أعطيتك فأغنيتك عن غيرك. فمادا فعلت به؟ فيقول يا رب لقد كنت أنفق منه وأتصدق على الفقراء واطعم المحتاج، فيقول له كذبت فترد الملائكة كذبت. فيقول له إنما فعلت ليُقال لك كريم فقد قيل لك فيُردُّ عليه عمله فيُقذف في النار. ثم يُؤتى بالثالث فيذكِّره الله بما أعطاه من قوة وشجاعة. ثم يسأله عما فعل بشبابه وفُتُوَّته فيقول رب كنت اقاتل واجاهد وأنشر الإسلام. فيقول له كذبت فتردُّ الملائكة كذبت. فيقول له: إنما فعلت ليُقال لك شجاع بطل فقد قيل لك فيردّ عليه عمله فيقذف في النار.

هذا الحديث يوضح أن الله تعالى لا يقبل يوم القيامة إلاّ ما كان خالصاً لوجهه الكريم. كما يستفاد منه أن الإنسان قد يعمل العمل فتوسوس له نفسه فتدفعه إلى الرياء والمباهاة فيكون ذلك سبباً لإحباط عمله. نسأل الله تعالى الذي يعلم ما تُكنّه النفوس أن يطهِّر أنفسنا من الرياء والنفاق وسوء الأخلاق وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، آمين والحمد لله رب العالمين.

الحسنات والسيئات

باسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على أشرف المرسلين وعلى آله وصحابته أجمعين وبعد: يقول رسول الله ﷺ: "إن الله عز وجلّ كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك. فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له حسنة كاملة. وإن همّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة. وإن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن همّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة ."(الحديث رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس)

ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "يقول الله تعالى : إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فإن عملها فاكتبوها عليه بمثلها. وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة. وإذا أراد عبدي أن يعمل حسنة فاكتبوها له حسنة. وإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف." (رواه البخاري)

وفي صحيح مسلم: "إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعملها. فإن عملها فأنا أكتبها له بعشر أمثالها. وإذا تحدث عبدي بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها. فإن عملها فأنا أكتبها له بمثلها." وقال رسول الله ﷺ: "قالت الملائكة: "ربِّ ذلك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به" قال: ارقبوه فإن

عملها فاكتبوها له بمثلها، فإن تركها فاكتبوها له حسنة فإنما تركها من جرّايَ." (مسلم)

هذه الأحاديث روى البخاري منها حديثين والثالث رواه مسلم، وكلها منشورة في كتب الحديث الأخرى لكن ما الذي نستنتجه ؟

الاستنتاج الأول

الحسنات تُضاعف إلى عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف . فكل حسنة بعشر أمثالها، قال تعالى:﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ (الأنعام الآية 16) .

وهناك من الحسنات ما يضاعف إلى سبعمائة حسنة. قال الله تعالى: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾ (البقرة الآية 361) عن نافع عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: لما نزلت هذه الآية ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ...﴾ الآية قال رسول الله ﷺ: "ربِّ زِدْ أمتي." فأنزل الله تعالى: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة..﴾ (البقرة الآية 145) فقال رسول الله ﷺ:"رَبِّ زِدْ أمتي." فأنزل الله تعالى ﴿إنما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ (الزمر الآية 10).

وهكذا نلاحظ أن الأجر يتزايد من عشرة إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة إلى أجر بغير حساب. ويستنتج هذا من الحديث

القدسي الذي يرويه رسول الله ﷺ حيث قال :"يقول الله تعالى في الحديث القدسي: "كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به" فلم يعط مقدار الجزاء لأنه لا حساب له ولأن في الصوم صبراً والله يقول: ﴿إنما يُوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾.

الاستنتاج الثاني

وهو يتعلق بفعل السيئات. فالذي يعمل السيئة تكتب له سيئة واحدة غير مضاعفة. يقول الله تعالى: ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلّا مثلها وهم لا يُظلمون﴾ (الأنعام الآية 160) إلاّ أن بعض أهل العلم يرون أن السيئات قد تعظم بحسب الزمان والمكان. فقد تعظم في الأشهر الحرم . قال الله تعالى ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حُرُمٌ فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ (التوبة الآية 36)

وكما تعظم السيئات في الأشهر الحرم تعظم في رمضان. انظر إلى قول رسول الله ﷺ : "من لم يدع قول الزور والعمل به فلا حاجة له في أن يدع طعامه وشرابه.." وأحاديث أخرى في الموضوع. وكذلك ارتكاب السيئات في يوم العيد. فمن عصى الله في يوم العيد فكأنما عصاه يوم الوعيد. هذا باعتبار الزمان أما باعتبار المكان فإننا نجد أن السيئات تتضاعف في الحرم. قال الله تعالى:﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ (الحج الآية 25)

لذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم يتقون سكن الحرم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: "لأن اخطئ سبعين مرة أهون عليّ من أن أخطئ مرة واحدة بمكة."

وكما تتضاعف السيئات بحسب الزمان والمكان تتضاعف أيضاً بشرف صاحبها وقوة معرفته بالله عز وجلّ لأنه كما يقال "من عصى السلطان على بساطه أعظم جرماً ممن عصاه على بُعد". ومن ثَمّ نجد ان الله تعالى قد توعّد خاصة عباده بمضاعفة الجزاء على المعصية. يقول عز وعلا: ﴿ولولا أن ثبّتناك لقد كدت تركَنُ إليهم شيئاً قليلاً إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثمّ لا تجد لك علينا نصيراً.﴾ (الإسراء الآية 74و75) وفي نفس السياق نجد الله عز وجل يخاطب أمهات المؤمنين حيث يقول:﴿يا نساء النبيّ من يأت منكن بفاحشة مبينة يُضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً.﴾ (الأحزاب الآية 30)

الاستنتاج الثالث

الهمّ بالحسنة: فمن أراد أن يعمل الحسنة ولكنه لم يعملها، فإنها تُكتب له حسنة كاملة حتى وإن لم يعملها.والمقصود من قوله تعالى في الحديث القدسي :"إذا تحدّث عبدي" _المقصود به_حديث النفس أي همّ بها وعزم وصمّم على فعلها،ومثال ذلك قول رسول الله ﷺ: "من اتى فراشه وهو ينوي أن يصليَ من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كُتِب له مل نوى." (الحديث رواه أبو داوود عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها) وخلاصته أن كل عمل اقترن بالنية تأكد

الجزاء عليه .ومنه قول رسول الله ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى". ويبقى السؤال: هل الحسنة في هذه الحالة مضاعفة؟ الجواب يكون طبعا بالنفي إذ تكتب حسنة واحدة لأن الفرق هو العمل. يقول الله تعالى: ﴿فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضّل المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً ودرجات منه ومغفرة وكان الله غفوراً رحيماً.﴾ (النساء الآيتان 95_96)

الاستنتاج الرابع

الهمّ بالسيئة من غير العمل بها: بالرجوع إلى الحديث الأول الذي رواه البخاري نجد: "من هم بالسيئة ولم يعملها كتبها الله له حسنة كاملة". وفي الحديث الثاني نجد: "وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة."وفي الحديث الثالث الذي رواه مسلم نجد قوله عليه السلام: "يقول الله تعالى لملائكته: "ارقبوه. فإن عملها فاكتبوها له بمثلها. وإن تركها فاكتبوها له حسنة فإنما تركها من جرّايَ."

الخلاصة هي أن ترك المعصية خوفاً من الله تعالى حسنة وقد لا تكون مجرد حسنة واحدة. بل قد توصل صاحبها إلى أعلى الدرجات. ومَثَلُ ذلك ما ورد في حديث الصخرة حيث تقرّب أحد الثلاثة إلى الله بمعصية تركها .والحديث مفاده أن ثلاثة رجال خرجوا في سفر فلمّا جنّ عليهم الليل التجأوا إلى غار للاحتماء فيه. فتدحرجت صخرة عظيمة فأغلقت عليهم باب الغار فلمّا عجزوا عن إزاحتها ولم يجدوا ملجأ إلاّ إلى الله بدأوا يتضرعون. وفي نهاية الأمر اهتدوا إلى

أمر أهم وهو التقرب والتوسل إلى الله بصالح أعمالهم، فتقرب الأول ببرِّه لوالدته حيث إنه قضى ليلة وهو جالس عند رأس أمه يحمل بين يديه إناء فيه لبن ينتظرها حتى تستيقظ كي لا يزعجها. فقال: اللهم إن كنت فعلته طاعة لك ففرِّج عنّا كربتنا. فتدحرجت الصخرة قليلا. وقال الثاني الذي كان قد جمع مالاً ونمّاه لأجير ترك أجرة نصف يوم وذهب ولما رجع بعد مدة ،وطالب أجر عمل نصف ذلك اليوم أعطاه مالاً كثيرا وإبلاً واغناماً كلها من المال الذي نمّاه له فتقرب إلى الله بهذا العمل فقال: اللهم إن كنت فعلته طاعة لك، ففرج عنا كربتنا.فتدحرجت الصخرة قليلاً. ولم يجد الثالث عملا صالحاً قدمه فتقرب بسيئة تركها خوفاً من الله، ذلك أنه كانت له ابنة عمٍّ يحبها فراودها عن نفسها عدة مرات فاعتصمت،فأغراها بكل الوسائل فأبت .أصيب والدها بمرض فاحتاجت إلى مال لتسعفه، فلجأت إليه بعدما لم تجد غيره فاغتنم الفرصة وطلب مقايضتها بتلبية رغبته ،فقبلت مضطرة ومكرهة ،فلما وقع منها حتى جلس بين رجليها قالت له:يا عبد الله اتق الله، ولا تفك ختم الله إلاّ بشرع الله. فقام مذعوراً خائفاً، فقال اللهم إن كنت تركت شهوتي خوفاً منك ففرّج عنا كربتنا، فتدحرجت الصخرة بعيداً فنجا ونجا من معه. (والخبر هذا موجود في كتاب أمالي أبي علي القالي).

هذا عن ترك السيئة خوفاً من الخالق، أمّا إذا تُرِكت خوفاً من المخلوق أو رياء، فإنها تكتب سيئة كاملة.أما من همّ بمعصية وحال دونه ودونها القدر، فإنها تكتب عليه معصية كاملة كذلك، ومَثل

ذلك قول رسول الله ﷺ: القاتل والمقتول في النار. قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصاً على قتل صاحبه.

اما حديث رسول الله ﷺ: "إن الله تجاوز لأمتي ما حدّثت به انفسها. ما لم تكلم به او تعمل." فهو يعني أن الذي تكلّم بلسانه يعاقب لأنه عمل المعصية بجوارحه. وقيل لا يعاقب ما لم تكن المعصية التي هم بها قولاً محرّماً. كالكذب والغيبة والنميمة.

هناك حالة اخرى وهي أن يهمّ الشخص بمعصية ثم فترت عزيمته من غير سبب. وهذا نوعان: الأول أن يكون الهمّ بالمعصية خاطراً ولم يعقد عليه قلبه.فهذا النوع معفوٌ عنه.وللإشارة عندما نزل قول الله تعالى:﴿**وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء**﴾ (البقرة 184) شقّ الأمر على المسلمين واعتقدوا أن الخواطر داخلة ضمن هذه الآية ويعاقب عليها. فنزلت آية أخرى نسختها وهي قوله تعالى:﴿**ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به...**﴾ (البقرة 286) فأزالت الإبهام الأول.

النوع الثاني المصمّمة التي تقع في النفوس: وهي صنفان .

أ) أعمال القلوب: ويعاقب عليها. ومنها الشك في وحدانية الله تعالى أو في إحدى صفاته. أو الشك في النبوة أو البعث أو النفاق... الخ وقد استدلّ ابن عباس رضي الله عنه بالآية: ﴿**وإن تبدوا ما في أنفسكم**

أو تخفوه يحاسبكم به الله..﴾ في هذا الموضوع. وفي موضوع ترك الشهادة:﴿ومن يكتمها فإنه آثمٌ قلبُه..﴾ (البقرة 183)

ب) الصنف الثاني: ما لم يكن من أعمال القلوب: كالزنى والسرقة وشرب الخمر والقتل.. وهذا فيه رايان. الأول: يؤاخذ وهذا مذهب كثير من الفقهاء. وقيل يحاسب العبد يوم القيامة. إذ يقفه الله عليه ثم يعفو عنه فتكون عقوبته المحاسبة.

الثاني: لا يؤاخذ بمجرّد النية ، وجعلوه من الذنوب المستورة. وهناك قول آخر هو أنه لا يؤاخذ بها إلاّ إذا همّ بها في الحرم الشريف. والسبب هو أن الحرم يجب احترامه والعقاب إنما هو على ترك هذا الواجب.ونختم هذا الدرس بقول ابن عباس رضي الله عنه: "ويل لمن غلب واحده عشراً" نسأل الله أن يهدينا سبل الرشاد وأن يغفر لنا خطايانا ويتقبل منا صالح أعمالنا. اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه آمين والحمد لله رب العالمين.

إقامة الصف

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على إمام المرسلين سيدنا محمد خير من صلى وصام وعلى آله وصحابته الكرام وبعد: فإن سبب تقديم هذا الدرس هو أنني حضرت الصلاة متأخراً فوقفت في آخر الصفوف فلاحظت ما بها من اعوجاج وطريقة وقوف بعض المصلين للصلاة حيث لاحظت الرجل واقفاً وكأنه نائم وآخر كأنه واقف على رجل واحدة وآخر يصلي في أقصى يمين الصف والصف غير مكتمل كل هذه الأمور دفعتني للبحث في وسيلة تقويم هذه الأخطاء أسال الله أن يشرح لي صدري وييسر لي أمري وأن تفهموا قولي .أستهل هذا الدرس بحديث رواه ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: "أقيموا الصفوف, وحاذوا بين المناكب, وسدُّوا الخلل, ولينوا بأيدي إخوانكم, ولا تذروا فرجات للشيطان, ومن وصل صفاً وصله الله, ومن قطع صفاً قطعه الله".

عندما بدأت في تحضير هذا الدرس, اطلعت على كتاب "بسط الكف في إتمام الصف" الإمام السيوطي رحمه الله, فوجدته أحصى أربعة وثلاثين حديثا في الموضوع. وكلها تؤكِّد إقامة الصف وإتمامه والاعتدال فيه وكيفية تكوينه. ومن ثَمَّ اتضح أن إقامة الصف واجبة وجوب الصلاة,لأن إقامة الصف من إقامة الصلاة . وإقامة الصلاة واجبة بدليل قوله تعالى:﴿ **وأقيموا الصلاة** ﴾ وقد تكررت عدة مرات في القرآن الكريم. وباعتبار أن كل شيء من الواجب

واجب فإقامة الصف واجبة. (هذا مذهب جمهور العلماء وقد ذهب إليه ابن حزم أيضاً) انظر مجموعة رسائل السيوطي ج 1ص19.

شرح الحديث

بعد هذه المقدمة نعرض إلى شرح الحديث: قوله عليه السلام، أقيموا الصفوف،أي عدِّلوها، وسوّوها. وقوله حاذوا بين المناكب: أي عدم الاختلاف في المواقف، أو التقارب. وقوله سدّوا الخلل: املأوا الفُرج بين الصفوف. وقوله لينوا: بمعنى كونوا لينين هينين بأيدي إخوانكم إذا أخذوا بها ليقدّموكم أو يؤخروكم حتى يستويَ الصف، وقد يراد بها لينوا لمن يجرُّكم من الصف أي وافقوه وتأخروا معه لتزيلوا عنه صلاة الانفراد. وهذا له أجران، أجر الصف، وأجر الاختلاج الذي هو سبب تحصيل فضيلة للغير. وقوله لا تذروا فرجات للشيطان: أي لا تتركوا فُرجات لشيطان الجن والإنس. قوله: من وصل صفاً: يعني من حضر فيه وسد الخلل وصله الله برحمته، ومن قطعه قطعه الله من رحمته وعنايته. ونلاحظ هذا الوعيد الشديد، حتى إن ابن حجر عدّه من الكبائر. وعلى هذا يتضح أن الصف يجب إتمامه، ولا يجوز الشروع في صفٍ قبل إتمام الصف الذي قبله، وقيل إنه مكروه والمكروه يُسقط الفضيلة. لذلك قال رسول الله ﷺ: "أتموا الصفوف فما كان من نقص ففي المؤخر." وفي الموضوع نشير إلى أن للصف أثراً عظيماً فالجيش الذي تتراصُّ صفوفه يدل على القوة ويُرهِب عدوّه لذلك نجد الله تعالى يقول: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في

سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾ (سورة الصف الآية 4) وما غيظ الكافرين اليوم وحقدهم إلا أنهم يرون المسلمين يقفون للصف وهم ألوف مؤلفة إن لم نقل بالملايين يصلون خلف رجل واحد يركعون كرجل واحد ويرفعون كرجل واحد . يسجدون دفعة واحدة ويرفعون دفعة واحدة . فيزيدون غيظاً وحسداً. نسأل الله ان يجعل كيدهم في نحورهم .

عن شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد القحطاني قال: قال رسول الله ﷺ:﴿ لتسوُّنّ صفوفكمو أو ليخالفنّ الله بين وجوهكم﴾ (فتح الباري ج 2 ص 207_206) كما أخرجه مسلم في صحيحه (ج 1 ص 324).

اختلف الشراح في معنى الحديث. فقالوا تسوية الصفوف تطلق على أمرين: اعتدال القائمين على تسمُّت واحد وسد الخلل الذي في الصف. قال الحافظ بن حجر: "وعلى هذا فهو واجب والتفريط فيه حرام". وقال: وهو نظير الوعيد فيمن رفع رأسه قبل الإمام. ورأى آخرون أنه مكروه والمكروه يزيل الفضيلة .

وكما اختُلف في معنى الحديث اختلف أيضاً في الوعيد المذكور. فقيل ،هو على حقيقته. والمراد تشويه الوجه بتحويل خلقه عن وضعه بجعله خلف القفا أو نحو ذلك. فهو نظير ما جاء فيمن رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار. وفيه من اللطائف وقوع الوعيد من جنس الجناية :﴿لا تختلفوا فتختلف وجوهكم﴾

وفيه يقول ابن الجوزي: "الظاهر أنه مثل الوعيد المذكور في قوله تعالى:﴿من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها.﴾". ومنهم من حمله على المجاز, وهو مذهب النووي حيث قال: "معناه يوقع العداوة والبغضاء واختلاف القلوب كما تقول تغير وجه فلان-لأن مخالفتهم في الصفوف, مخالفة في ظواهرهم , واختلاف الظواهر سبب لاختلاف البواطن". ويؤيد هذا المعنى رواية أبي داوود: "أو ليخالفن الله بين قلوبكم عوض وجوهكم".

ويرى القرطبي أن معناه تفترقوا فيأخذ كل واحد وجهاً غير الذي أخذه صاحبه, لأن تقدم الشخص على غيره قد يكون بسبب الكبر المفسد للقلب الداعي إلى القطيعة. ويحتمل أن يراد بالمخالفة في الجزاء فيجزى المسوّي بخير ومن لا يُسوي بشر.

أخرج سعيد بن منصور عن امامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله وملائكته يُصلون على الصف الأول. قالوا يا رسول الله وعلى الثاني. قال: إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول. فتكرر السؤال ثلاث مرات وكان يرد بنفس الجواب وفي الرابعة أضاف: سوّوا صفوفكم وحاذوا بين مناكبكم ولِيّنوا في أيدي إخوانكم وسُدّوا الخُلل فإن الشيطان يدخل فيما بينكم بمنزلة الحَذَف." (انظر كتاب المنذر في الترغيب ج318/1 والطبراني في المعجم الكبير 205/8) .

أخرج الطبراني عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: "من نظر إلى فرجة في الصف فليسُدَّها بنفسه فإن لم يفعل فمن مرّ فليتخطى على رقبته فإنه لا حرمة له." اخرجه الطبراني في الكبير, 11/ 104.

لأجل هذا نوصي المؤمنين إذا دخل أحدنا المسجد, فلا يجلس في الخلف كما لاحظنا على كثير من الناس, بل الأفضل أن يتقدم إلى أول صف , وأن يبدأ الصف من المحراب فإذا جاء ثانياً جلس إلى يمين الجالس في المحور والثالث يجلس إلى يساره وهكذا حتى يمتلئ الصف ثم يشرع في الصف الثاني ثم الثالث وهكذا .فإذا وقفنا للصلاة نتبع الشخص الذي يكون أمام المحراب, وعوض أن ننظر إلى الخلف أو اليمين أو اليسار نملأ أي فرجة أقرب إلينا, وان لا نترك فرجة ثم ننظر إلى الخلف ننتظر من يملأها كما يفعل الكثير من الناس فخير خطوة تخطوها هي تلك التي تكون لملء فرجة .

إن أحب الصفوف إلى الله وإلى رسوله, الصف الأول وإن الله ليرضى على الذين يصلون الصفوف. ففي الحديث "إن الله وملائكته يُصلون عل الذين يصلون الصفوف". اخرجه الحاكم (1/214) وأحمد (6/89) ونختم بهذا الحديث الذي أخرجه النسائي قال عليه السلام: "الا تصُفّون كما تصف الملائكة عند ربهم, قالوا: وكيف تصفُّ الملائكة عند ربهم؟ قال يتمون الصف المقدم ويتراصون في الصف." نسأل الله تعالى أن يعلمنا أمور ديننا, وان ينفعنا بما تعلمنا وان يزيدنا علماً إنه هو العليم الحكيم ونختم بالصلاة على نبي الأمة وإمامها وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

آيات أدب الله بها عباده المؤمنين

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين خير خلق الله خلقاً وأخلاقاً. وبعد: يقول الله تعالى:﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم ، يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيّ ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم... ﴾ (الحجرات الآيات 1_2_3)

سبب نزول هذه الآيات كما ورد في بعض التفاسير، أن رسول الله ﷺ بعث بسريةٍ إلى تهامة، فاعترض لها قوم (من بني عامر) فقتلوا أفرادها إلا ثلاثة نجاهم الله. وفي طريق رجوعهم لقوا رجلاً من قومهم لم يعرفوه، فلما سألهم عن نسبهم قالوا نحن من بني عامر خوفاً من أن يكون مصيرهم كالذي وقع لإخوانهم. فقتلهم الرجل لما بين بني عامر وبني سليم من عداوة وثأر. فجاءوا بالخبر إلى رسول الله ﷺ فقال: "بئس ما فعلتم، إنهم من بني سليم". ونستخلص من هذا أن معنى الآية الأولى : لا تتسرعوا في الأمور وفي هذا قال الضحاك في معنى الآية (لا تقضوا أمراً دون الله ورسوله من شرائع دينكم) واتقوا الله فيما أمركم. أما الآية الثانية فهناك بعض الإجماع على أن سبب نزولها هو رفع الأصوات أمام رسول الله ﷺ . وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وكان رجلا خشن الصوت، وكان رسول

الله ﷺ يتأذّى من صوته. وقيل نزلت في أبي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما عندما اختلفا في أمر بني تميم حول من يُؤمّر عليهم حيث قال أحدهما بالأقرع بن حابس وقال الثاني برجل آخر فرفعا صوتهما فنزلت الآية. ويُستفاد من هذا أنه إذا منّ الله على أحد منا بزيارة قبر رسول الله ﷺ فيجب أن نسلم عليه بأدب واحترام وخشوع دون رفع الصوت في حضرته. وهو ما نستخلصه من قوله تعالى:﴿**إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم** ﴾. لذلك إذا رفعت بصرك إلى أعلى وأنت أمام قبره الشريف وجدت هذه الآية مكتوبة .

أما قوله تعالى:﴿**إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون.**﴾ الآية(4) الحجرات. في هذه الآية ذَمٌ لبعض الذين كانوا يأتون إلى بيوت رسول الله ﷺ وينادونه بصوت مرتفع : (يا محمد) فكره الله عليهم ذلك. فقال فيهم "أكثرهم لا يعقلون"

وقوله تعالى:﴿**يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا**﴾ الآية(6) تتضمن الأمر بالتثبّت في خبر الفاسق والاحتياط منه. ونزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط الذي بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق. لكنه رجع من الطريق خوفا أو تخوفاً أو كسلاً. مدعياً أن القوم منعوه من الزكاة في الوقت الذي كان بنو المصطلق ينتظرون رسول رسول الله إليهم. ليمنحوه ما فرض الله عليهم . فلما لاحظ القوم تأخره وعلموا برجوعه. جاءوا بأنفسهم يحملون الزكاة

فظهرت الحقيقة ,وانزل الله الآية.والآية فيها تحذير للذي ينصاع لأول خبر لأجل ذلك كان لا بدّ من التبيُن والتحقق من كل أمر.

قوله تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾ هذا أمر بالإصلاح بين المتخاصمين والباغين بعضهم على بعض. وقيل نزلت بسبب إصلاح رسول الله ﷺ بين الأوس والخزرج. وقيل بين قوم امرأة وزوجها. وقوله تعالى:﴿لا يسخر قوم من قوم﴾ فيها نهي عن احتقار الغير أو الاستهزاء أو السخرية منه. أو استصغاره.وهو محرم لورود النهي فيه. وقوله تعالى:﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ بمعنى لا يطعن بعضكم على بعض. ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ هي ان يلقب الرجل أخاه باسم يسوءه. وهو محرم على المؤمنين لما ورد فيه من النهي .﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم﴾ الظن: التهمة والتخوُن للأهل والناس. وفيه إثم كبير وعظيم. لذلك ورد فيه النهي من الكتاب ومن السنة قال رسول الله ﷺ: "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث." قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك إلاّ خيراً وأنت تجد لها في الخير محملاً.". ﴿ ولا تجسسوا﴾ التجسس هو الإنصات على الغير. ومنه التحسس. والفرق بينهما أن التجسس يكون في الشرّ غالباً والتحسس يكون في الخير كما يكون في الشر. وكلاهما مَنْهِيٌ عنه . قال ﷺ: "ولا تجسسوا. ولا تحسسوا. ولا تباغضوا. وكونوا عباد الله إخوانا." (اخرجه البخاري ومالك عن ابي هريرة) قوله تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب احدكم أن يأكل لحم

أخيه ميتاً فكرهتموه﴾ الآية 12 في الآية نهي واضح عن الغيبة. وقد صور الله تعالى المغتاب في أبشع صورة حين مثله بالذي يأكل لحم الإنسان ميتاً. وقد وضّح رسول الله ﷺ الغيبة حين سُئل عنها فقال: "هي ذكرك أخاك بما يكره". قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟_ قال ﷺ: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته. وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتته". روى الحافظ أن رجلا يُسمّى ماعزاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله. إني قد زنيت. فأعرض عنه رسول الله ﷺ حتى قالها أربعاً. فلما كانت الخامسة وتأكّد منه الأمر واصر على الاعتراف أمر رسول الله ﷺ برجمه فرُجِم. سمع النبي ﷺ رجلين يقول أحدهما للآخر: ألم تر إلى هذا الذي ستره الله فلم تدعه نفسه حتى رُجم كالكلب؟ ثم سار النبي ﷺ حتى مرّ بجيفة حمار فقال: أين فلان وفلان؟ انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار. قالا: غفر الله لك يا رسول الله. وهل يؤكل هذا؟قال ﷺ: فما نلتما من أخيكما آنفاً أشدّ أكلاً منه. والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها." وعن جابر وأبي سعيد قالا: قال رسول الله ﷺ: "إياكم والغيبة .فإن الغيبة أشد من الزنا(قلت) يا رسول الله وكيف الغيبة أشد من الزنا؟ قال: إن الرجل قد يزني ثم يتوب فيتوب الله عليه وإن صاحب الغيبة لا يُغفَر له حتى يَغفِر له صاحبه." ونشير هنا أن الغاتب والجليس سيان في العقاب. روى الحافظ عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في بيوتها أو (في

خدورها) فقال: "يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه. لا تغتابوا المسلمين. ولا تتبعوا عوراتهم. فأنه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته. ومن يتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته."

هذا عن وصف الله تعالى للمغتابين أما ما جاء من الوعيد فقد روى ابن أبي حاتم. عن سعيد الخدري قال : قلنا : يا رسول الله حدِّثنا ما رأيت ليلة أُسريَ بك؟ قال:(ثم انطلق بي إلى خلق من خلق الله كثير. رجال ونساء. موكّل بهم رجال يعمدون إلى عرض جنب احدهم. فيجذُّون منه الجذة مثل النعل. ثم يضعونها في فيِّ أحدهم. فيُقال له :كُلْ كما أكلت _وهو يجد من أكله الموت يا محمد لو يجد الموت وهو يكره عليه_ فقلت: يا جبرائيل من هؤلاء ؟ قال: هؤلاء الهمازون اللمازون أصحاب النميمة. فيقال ﴿...أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه﴾ وهو يكره على أكل لحمه

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال. قال رسول الله ﷺ: (لما عُرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم. قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال :هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم.)

الآية مازالت تزخر بالمواعظ والحكم ولو توقفنا عند كل واحدة منها ما كفانا الوقت لكنني أكتفي بهذا الجزء. وتلاحظون أنني ركزت بعض الشيء على موضوع الغيبة والنميمة والتحسس على الغير ذلك أن أحد المصلين لاحظ أن مجموعة من الرجال

يجلسون في جانب من المسجد وليس لهم حديث إلاّ أعراض الناس ويتركون الذكر والتسبيح لذا أنصح باجتناب كل من نحس منه هذه الصفات حتى لا نشترك معه في الإثم وأن نشتغل بالذكر وتلاوة القرآن حتى لا يلحقنا هذا الوعيد. نسأل الله تعالى ألاّ يؤاخذنا بما فعلنا وأن يغفر لنا ولإخواننا خطايانا وأن يعلمنا ما لم نعلم . وأن يملأ قلوبنا بذكر الله آمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قيم إنسانية من سنة خير البرية

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على الرحمة المهداة للعالمين سيدنا محمد بن عبد الله الصادق الأمين وعلى آله وصحابته أجمعين. وبعد ورد في كتب الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: "من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة. ومن يسّر على مُعسرٍ يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة. ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة. والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه. ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً. سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة. وما جلس قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله. ويتدارسونه بينهم. إلاّ نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة. وحفّتهم الملائكة. وذكرهم الله في من عنده. ومن أبطأ به عمله. لم يُسرع به نسبه."

هذا الحديث رواه مسلم في صحيحه. كما رواه الإمام أحمد في مسنده. ورواه أبو داود. والترمذي. وابن ماجة. وصححه ابن حبان .. ومن تتبعه في كتب الحديث وجد أن طرقه تدلّ على أنه صحيح. إلاّ طريقاً واحداً اعترض عليه الدارقطني في روايته عن الأعمش حين قال حُدِّثتُ عن الأعمش. فتبين أنه لم يسمعه منه مباشرة. فدلّ على عدم الاتصال.

ومن روايته أيضاً أنه ورد في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنه زيادة: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه. ومن كان

في حاجة أخيه كان الله في حاجته ...) ثم بقية الحديث وفي رواية الطبراني نجد (من نفّس عن مؤمن كربة من كربه. _عوض من كرب الدنيا_ ونجد أيضاً من ستر على مسلم عورته زيادة على ما ذكر. ونجد أيضاً لفظة: من فرّج عوض نفّس. امّا رواية أحمد فإننا نجد من ستر مسلماً في الدنيا ... ونجد أيضاً من نجّى مكروباً فكّ الله عنه كربة من كرب الآخرة ...

أوردت هذه الروايات لما لها من دلالات كما سيتضح من خلال شرح الحديث: قوله. (من نفس على مؤمن كربة..) نجد فيه أن الجزاء من نفس جنس العمل من نفس على مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عليه كربة من الآخرة ومثله: إنما يرحم الله من عباده الرحماء. وقوله عليه السلام: إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا. والكربة هنا بمعنى الشدة العظيمة التي توقع صاحبها في الكرب. والتنفيس مأخوذ من تنفيس الخناق والتفريج أعظم من التنفيس لذلك كان الجزاء عظيماً. فأيّما مؤمن اطعم جائعاً أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة وأيما مؤمن سقى مؤمناً عن ضمإ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم. وأيما مؤمن كَسَا مؤمناً على عُرْيٍ كساه الله من خُضر الجنة. اي الثياب الخضر .

خرّج البيهقي حديثاً أن رجلاً من أهل الجنة أشرف على رجل من أهل النار. فأخذ يناديه الرجل الذي من أهل النار: يا فلان هل تعرفني؟ فيقـول: لا والله ما أعرفك من أنت؟ فيقول: أنا الذي مررت

بي في الدنيا فاستسقيتني شربة من الماء فسقيتك. قال قد عرفتك. قال فاشفع لي بها عند ربك. فيسأل الله. فيأمر به فيخرجه من النار."

نلاحظ أيضا في بعض تخريجات الحديث قوله: كربة من كرب يوم القيامة, ولم يقل كربة من كرب الدنيا.لأن الكرب من الشدائد العظيمة التي لا تحصل لكل الناس .ثم إن كرب الدنيا مهما عظمت فهي لا شيء بالنسبة لكرب الآخرة, لذلك ادخر الله جزاء تنفيس الكرب عنده لينفس بها كرب الآخرة, وما أعظم كرب يوم القيامة ومن احب ان يطلع على بعضها فليقرأ تفسير آخر سورة(ق) : ﴿واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب﴾ إلى ﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيد﴾ أما قوله: "من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة" فهذا يدل على أن الإعسار يكون في الدنيا وفي الآخرة قال تعالى ﴿فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير﴾ (المدثر آية9 و10) وفي سورة الفرقان:﴿وكان يوماً على الكافرين عسيرا﴾ والتيسير على المعسر يكون من جهة المال قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة..﴾ فدل على أن التيسير على المدين واجب وللمُيَسِّر فضل كبير.

عن أبي قتادة رضي الله عنه انه قال. قال رسول الله ﷺ "من نفس عن غريمه أو محا عنه كان في ظل العرش يوم القيامة." وعن رسول الله ﷺ أنه قال: "مات رجل فقيل له (أي سئل عما عمله لآخرته)

فقال، كنت أبايِعُ الناس، فأتجاوز عن الموسر، وأخفف عن المعسر، فغُفِر له. وفي رواية : فقال الله تعالى نحن أحق بذلك منه تجاوزوا عنه." (الحديث رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما)

قوله ﷺ: "ومن ستر مسلماً، ستره الله.." أي كتم عن عيوب أخيه. وفي حديث آخر"من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة.". (رواه أبو داوود عن ابن عمر رضي الله عنه) ومنه قوله ﷺ في النهي عن هذا الأمر: "ولا تتبعوا عورات المسلمين، فإنه من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته وفضحه ولو في بيته."

الستر نوعان، الأول: من كان مستوراً لا يقع في المعاصي، فهذا إذا وقعت منه هفوة فإنه لا يجوز كشفها ولا التحدث بها وهو محرم بدليل قوله تعالى ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة﴾ (سورة النور الآية 19) ومن هذا النوع من يُتهم وهو بريء كما حدث في قصة الإفك وهي حادثة عظيمة. والأولى في هذه الأمور الستر ولو على النفس. ونستخلص من إعراض الرسول ﷺ عن الغامدية أكثر من مرة أن الستر على النفس واجب وهذه القصة مشهورة حيث إنها جاءته عليه السلام فأقرت على أنها زنت فأعرض عنها ثم أتته من الجهة الأخرى فقالت يا رسول الله إني زنيت . فأعرض عنها وفي الثالثة أمرها أن ترجع حتى تضع حملها ثم أقام عليها الحد.

أما الثاني، فذلك الذي كان مشهوراً بالمعاصي ولا يبالي بها: فهذا لا يُشفَعُ له، ولا يُستر حفاظاً على حرمات الناس من شرّه إلا إذا تاب وتطهر من المعاصي.

أما قوله ﷺ: "ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة". سلوك الطريق هنا يعني التماس العلم، ومنه المشي إلى العلماء ومجالس العلم، ومدارسته ومذاكرته ومطالعته، وكتابته وفهمه.ومعنى: سهل الله له به طريقاً إلى الجنة: أي ييسِّرُ له ذلك العلم الذي طلبه ويسهِّله له ويكون هذا العلم سبباً لهدايته، ودخوله الجنة. وقد يؤخذ المعنى على ظاهره أن طلب العلم يسهل الطريق إلى الجنة يوم القيامة ولعالم واحد أشد على الشيطان من مائة عابد ومثل العلماء كمثل النجوم يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر.

نسأل الله تعالى أن يسترنا في الدنيا والآخرة وأن ييسر علينا أمورنا وأن يعلمنا ما لم نعلم وينفعنا بما تعلمنا إنه هو العليم الحكيم. آمين والحمد لله رب العالمين.

آداب المسجد

بسم الله الرحمن الرحيم. والصلاة والسلام على نبينا الصادق الأمين. المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحابته الأكرمين وبعد: يقول رسولنا الكريم عليه افضل الصلاة وأزكى التسليم: "جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وبيعكم وشراءكم. ورفع أصواتكم. وجمِّروها في كل جمعة." (الحديث رواه الطبراني في الكبير 8/156)

المساجد بيوت الله يجب أن تُعطى حقها من النظافة والاحترام. والمصلون هم ضيوف الله في بيته فلا يجوز إزعاجهم ولا مضايقتهم أو فعل أي أمر يشوش عليهم ويزعج هدوءهم. لذلك نجد السلف الصالح كانوا يعنون بها عناية خاصة وقد ذكرها الله في كتابه المبين أكثر من مرّة وأثنى على بعضها وخصّها رسول الله ﷺ بالعناية وسنّ سُنناً لدخولها وعمارتها لذلك أمر بالتطيب عند دخولها امتثالاً لقول الله تعلى: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ..﴾ (الأعراف 31) ونهى عليه الصلاة والسلام عن أكل الثوم والبصل قبل دخولها حفاظاً على نظافتها وتفادياً من إذاية المسلمين فيها باعتبارهم ضيوف الله في بيته. هذا عن الأطعمة المباحة فكيف بالذي يدخل المسجد ورائحة التبغ تفوح من ثيابه وفمه؟ نلاحظ هذا النهي عن إزعاج المصلّين بأي وسيلة كانت.

شرح الحديث

قوله ﷺ: جنبوا مساجدكم صبيانكم الحديث يتضمن النهي عن إدخال الصبان إلى المساجد وقد اختلف الفقهاء في موضوع إدخال الصبيان إلى المساجد. ففقهاء المالكية قالوا يجوز إدخال الصبي المسجد إذا كان لا يعبث، أو يكف عن العبث إذا نُهي عنه. وإلاّ حرم إدخاله إذا خيف من أن ينجس المسجد ببول أو غائط .وفقهاء الحنفية قالوا إذا غلب على الظن أنهم ينجسون المسجد يُكره تحريماً إدخالهم. وإلا يكره تنزيهاً . أما فقهاء الحنابلة فقالوا بكراهية دخول الصبي غير المميز المسجد لغير حاجة. فإن كان لحاجة كتعليم الكتابة أو القراءة فلا يكره إدخالهم إليه لأجل هذا ننصح بعدم ترك المسجد مكاناً للعب الأطفال ومن يقول بمصاحبتهم ليتدربوا على الصلاة نقول إن التدريب يجب أن يكون أولاً في البيت وإذا صاحبت ابنك فتأكد من خلو جسده وثيابه من النجاسة وحاول أن تقف معه في جانب الصف لا في وسطه والأفضل أيضا أن نصحبهم في آخر الصفوف حتى إذا عبثوا_ والعبث عادة في الطفل_ لن يفتنوا أحداً. أما المجانين فحكمهم حكم الصبيان باعتبارهم لا يميزون. ويمكنهم أن ينجسوا أو يشوشوا على المصلين.

وإذا كانت المساجد للعبادة والذكر فإنه يحرم قطعاً البيع فيها أو الشراء وهو قول فقهاء الشافعية والحنابلة وبعض المالكية وقد أوصى رسول الله ﷺ ان إذا راينا أحداً يبتاع في المساجد أن نقول له: لا أربح الله تجارتك. قال ﷺ: "إذا رايتم أحدا ينشد ضالة في

المسجد فقولوا لا ردّها الله عليك وإذا رأيتم أحداً يبتاع في المساجد فقولوا لا أربح الله تجارتك". هذا عن التجارة التي هي مباحة فكيف بالتسول في المساجد.

لم يغفل الفقهاء هذا الباب (باب السؤال في المسجد) فقهاء الحنابلة قالوا: يكره سؤال الصدقة كما يكره التصدق على السائل فيه. والشافعية قالوا بكراهيته وحرموه إذا كان فيه تشويش. ونلاحظ أن هذه الظاهرة المشينة للإسلام قد كثرت بشكل فضيع حتى إننا لاحظنا أن بعضهم يدخل المسجد سكرانا حتى لا يستحيي أو يخجل ويجلس في الصف الأول .وما إن يسلم الإمام حتى يقف بصوت مرتفع يتوسل ويختلق الأعذار فمنهم من يقول إنه كان مسافرا فتقطعت به السبل ومنهم من يدعي المرض ومنهم من يدعي أنه سُرق أو خرج من السجن إلى غير ذلك من الأكاذيب التي يحبكونها حبكا. والغريب في الأمر أنك إذا نهيت عن الظاهرة أو طلبت من المتسول الخروج من المسجد قام حشد من المغفلين يدافعون بدعوى الإحسان والشفقة وأحيانا تجد من يصدر الفتاوى. لأجل هذا نقول إن التسول في المسجد حرام والذي يعطي المتسول في المسجد آثم لما فيه من تشويش على المصلين والذاكرين والمذهب المالكي الذي ندين به ينهى قطعاً عن إعطاء المتسول في المسجد ويجعله حراماً مطلقاً .

ومن الأمور التي لاحظناها. دخول بعض الرجال المسجد وهم يتحدثون بأصوات عالية كأنهم ما زالوا في الشارع. فترى كل من

في المسجد يلتفت لمعرفة مصدر الصوت أو الأصوات فيفتنون الذاكرين والمصلين. كما نجد مجموعات تتكلم في أمور بعيدة عن العبادة عوض أن يشتغلوا بالتسبيح والذكر يتكلمون فيما يضرهم ولا ينفعهم ومنهم من يرفع صوته وهو مكروه كراهة تحريم وقد قال بعض العلماء بكراهة رفع الصوت ولو بذكر الله خاصة إذا كان هذا الصوت يشوش على ذاكر أو واعظ أو مدرس أو مطالع أو قارئ لكتاب الله. ويستثنى المدرس والواعظ الذي يريد إسماع صوته إذا احتاج لذلك.

ونختم ببعض النصائح: إذا دخلت أخي المؤمن المسجد فلا تدخله إلا طاهراً ولك أن تلمس بعض العطر وتتجنب الملابس والجوارب التي قد تُؤذي المصلين برائحتها, وأن تذكر الله عند دخولك المسجد وتستعيذ به وتصلي على النبي وتدعو الله لك بمغفرة ذنوبك والرحمة, ولا تجلس حتى تصلي ركعتين تحية للمسجد, ثم اجلس في خشوع فأنت ضيف الله في بيته واشغل نفسك بالذكر أو بتلاوة القرآن وهو أفضل أو السماع إليه إذا كان يُتلى والتدبر في آياته . أو اشغل نفسك بالاستغفار والتسبيح حتى تحضر الصلاة, ثم قم في الصف كما هو مأمور به .أد صلاتك بخشوع دون أن تؤذي أحداً .

نسأل الله أن يعلمنا أمور ديننا وأن يتقبل منا صالح أعمالنا وأن يجعلنا ممن يسمعون القول فيتبعون أحسنه آمين والحمد لله رب العالمين.

فصل في الجهاد

(سبب هذا الدرس ودافعه هو المجزرة الرهيبة التي قام بها الصهاينة في حق الأبرياء الفلسطينيين في مدينة جنين يوم 22 مارس سنة 2002 حيث عم الحزن وبدت الكآبة على وجوه كل المؤمنين. فحاولت التخفيف عنهم بالإشارة إلى ما أعده الله للمجاهدين الذين قتلوا في سبيل الله.)

بسم الله الرحمن الرحيم. وأصلي وأسلم على إمام المجاهدين سيدنا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم. وبعد: يقول الله تعالى: **﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألاّ خوف عليهم ولا هم يحزنون و يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾** (آل عمران الآية 171)

قبل الشروع في تفسير هذه الآيات الكريمات. لا بد أن نذكر سبب نزولها لأنه ييسر علينا فهم الآيات بوضوح وجلاء.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن الآيات نزلت في أصحاب رسول الله ﷺ الذين بعثهم إلى أهل بئر معونة. واختُلِف في عددهم وكان على ماء ذلك البئر رجل يُدعى عامر بن الطفيل الجعفري. فخرج أصحاب رسول الله ﷺ إلى أن اتوا غاراً مُشرفاً على الماء. فقعدوا فيه. فقال بعضهم لبعض: أيكم يبلغ رسالة رسول الله أهل هذا الماء؟ فقام رجل اسمه ملحان الأنصاري فقال: أنا أبلغ رسالة رسول

الله ﷺ فخرج حتى أهل البئر فقال: "يا أهل بئر معونة. إني رسولُ رسولِ الله إليكم. إني أشهد أن لا إله إلاّ الله. وأن محمداً عبده ورسوله. فآمِنوا بالله ورسوله." فخرج إليه عامر بن الطفيل فضربه برُمح في جنبه حتى خرج من الشِّق الآخر فقال: "الله أكبر فُزتُ وربِّ الكعبة" فأتبعوه حتى أتوا أصحاب الغار فقتلوهم جميعاً فتألم رسول الله ﷺ لمقتلهم. قال ابن إسحاق: "حدثني أنس بن مالك. أن الله أنزل فيهم قرآناً: بلِّغوا عنّا قومنا قد لقينا ربّنا فرضي عنّا ورضينا عنه. ثم نُسِخت ورفِعت بعدما قرأناها زماناً طويلاً فأنزل الله تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزقون..﴾.الآيات.

وروى الإمام مسلم في صحيحه عن مسروق قال: سألنا رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: "أرواحهم في جوف طير خُضر تَرِدُ أنهار الجنة وتأكل من ثمارها. وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظلِّ العرش. ثم اطلع عليهم ربُّهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا : أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا..ففعل الله ذلك بهم ثلاث مرات فلمّا رأوا أنهم لن يُتركوا من أن يُسألوا . قالوا: يا رب نريد أن تردّ أرواحنا في أجسادنا حتى نُقتَلَ في سبيلك مرة أخرى. فلما رأى أن ليس لهم حاجة تُرِكوا ".

وفي رواية أخرى تتعلق بسبب النزول: عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: "لما أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خُضرٍ ترِد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى

قناديل من ذهب في ظل العرش فلما وجدوا طيبَ مأكلهم ومشربهم وحُسن مقيلهم قالوا يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلاّ يَزْهدوا في الجهاد.. فقال الله عز وجلّ انا أُبلغهم عنكم فأنزل هذه الآيات".

خلاصة: بعد هذه الآيات والأحاديث النبوية يمكن أن نستخلص أن المجاهد في سبيل الله له جزاء خاص عند الله تعالى ومكانة خاصة. حتى إنه لا يكاد دمه يجف حتى تتخطفه الملائكة إلى الجنة. عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تجف الأرض من دم الشهيد حتى تبتدره زوجتاه كأنهما طيران أظلتا فصيليهما في براح من الأرض. وفي يد كل واحدة منها حُلةٌ خير من الدنيا وما فيها ". (رواه ابن ماجة).

وروى الترمذي والنسائي وغيرهما عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "الشهيد لا يجد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم القرصة يُقرصها". وقد سمعت يوما قائدا للجيش العربي الذي كان يقاتل في سيناء إبان حرب أكتوبر يقول بعفوية هذا المعنى. ونلاحظ هنا أن الشهيد لا يُعذب حتى بما قتل به. فكيف يُعذب في الآخرة. فهنيئا لمن قتل في سبيل الله. ونسأل الله أن يكتب لنا الشهادة.

للجهاد عدة صور. ذلك أنه كما يكون بالنفس يكون بالمال ويكون بالكلمة وبالقلم ولكلٍ أجر عمله. عن علي بن أبي طالب. وأبي الدرداء. وعبد الله بن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم اجمعين أن

رسول الله ﷺ قال: "من أرسل بنفقة في سبيل الله وأقام في بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم، ومن غزا في سبيل الله وانفق في وجهه ذلك فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم ثم تلا: والله يضاعف لمن يشاء ..". والله سبحانه وتعالى يقول:﴿وكلاً وعد الله الحُسنى﴾. وقد ينال الرجل أجر الشهادة بمجرد أن ينوي ذلك. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من سأل الشهادة أُعطِيها ولو لم تُصِبهُ" وفي حديث آخر: "من سأل الله الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه."

نسأل الله تعالى الجنة لإخواننا الذين ماتوا في سبيل الله في أرض فلسطين. اللهم ارحمهم، ووسّع عليهم واجعلهم مع الذين أنعمت عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين. ونختم بدعاء رسول الله ﷺ، اللهم منزّل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزم الصهاينة الأعداء وانصرنا عليهم واكتب لنا الشهادة آمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حركة التنصير

(سبب إلقاء هذا الدرس، رجوع العمال المغاربة من الخارج لقضاء عطلتهم الصيفية وقد لاحظنا ان كثيراً منهم يصطحب معه كتباً واشرطة سمعية بصرية وزعت عليهم من طرف المنصرين الذين يقفون على الحدود والمعابر وهذه الكتب والأشرطة تحمل من الدعاوى إلى التنصير ما يدعو إلى النهوض وفضح المؤامرة.)

بسم الله الرحمن الرحيم. والصلاة والسلام على الرحمة المهداة للعالمين سيدنا محمد النبي الأمين الذي أدى الأمانة وبلغ الرسالة وصدق الأمة وجاهد في الله حتى اتاه اليقين. ورضي الله عن صحابته اجمعين وبعد: بإشارة من المؤمنين وإلحاح كثير من الإخوة العاملين في الخارج واسرهم ،سيكون موضوع هذه الحلقة من الدروس حول الحركة النصرانية الخطيرة التي بدأنا نشعر ونسمع بوجودها في بلدنا وفي أوطان عربية مسلمة أخرى.وبخاصة الإفريقية منها مع التركيز على شمال إفريقية.

حركة التنصير التي قد يسميها بعض الناس _حركة التبشير_ هي حركة مسيحية هدفها تنصير كل من يعتقد بغير تعاليم المسيحية. وهي حركة قديمة قدم النصرانية. وازداد لهيبها بظهور الإسلام. ثم اخذت تتطور خاصة بعد الحروب الصليبية. وأول من اسس مدرسة التنصير في القرن الأخير. رجل إسباني اسمه (ريمون بول) remon paul حيث وجه سهامه إلى العرب بعد أن درس لغتهم

دراسة دقيقة، وجال بلاد الإسلام ورأى من قوة الإسلام ما رأى، فدفعه حقده على انتشار الإسلام إلى تأسيس مدارس متخصصة. أسس أول جمعية تنصيرية في لندن، ثم أتبعها بأخرى في السويد وثالثة في الدانمارك وأخرى في هولندا وألمانيا وبدأت الجمعيات تتكاثر . ثم شرع في تنظيم مؤتمرات دولية كان أولها في بلد عربي مسلم وهو مؤتمر القاهرة سنـــة 1906 بدعوة من القس (زوبير) ثم المؤتمر الثاني بأسكتلاندا سنة 1910. ثم مؤتمر الهند 1911 ثم المؤتمر الرابع في القدس سنة .1918 . وكانت من نتائج المؤتمرات، ترجمة الأناجيل الأربعة إلى مختلف اللغات الشرقية من عربية وهندية وباكستانية... الخ .ثم تأسيس إرساليات بروتيستانية وكاثوليكية، وأرتدوكسية. ثم إصدار المجلات المتنوعة، وشرعوا في تأسيس المدارس والجامعات والمستشفيات والأندية ومؤسسات البر والإحسان...

من نتائج أعمالهم هذه أنهم شككوا الناس في دينهم، وفي كل الأديان... فأصبح الناس لا يثقون بأي دين، وسعوا إلى إفراغ المسلمين من عقيدتهم السمحة. حيث لما صعب عليهم أن يقنعوهم بالمسيحية، عملوا على إفراغهم من التربية الإسلامية والعقيدة الإسلامية، فأصبح الشباب لا يُعير اهتماماً للدين ولا العقيدة، لأنهم لما رأوا من تخاريف المسيحية ظنوا أن الدين كله سواء، وقاسوا المسيحية بالإسلام، فتركوا الأديان كلها وهو أول هدف كان المسيحيون يطمحون إليه.

للوصول إلى هذا الهدف استغلوا حال المسلمين وأخلاق بعضهم وسلوكهم، إذ أصبح المسلم يرتكب من المعاصي والشرور ما لا يرتكبه غير المسلم ولاحظوا أن رموز المسلمين يسافرون ويقطعون المسافات ويبذلون الأموال من أجل المعصية (الزنى والخمر والقمار-الخ) ومما أدخل الشك في نفوس الشباب، اطلاعهم على بعض الرموز وهي غارقة في المعاصي.

انتقلت الحركة التنصيرية إلى مرحلة ثالثة، وهي أخطر من السابقتين حيث كثرت المؤتمرات، فكثرت المطابع لطبع الكتب والمجلات والوسائل السمعية البصرية، وزادوا في إرسال البعثات الطبية وتقديم الأدوية بالمجان وفتح الملاجئ الخيرية والمستشفيات والاتصال بالتلاميذ والطلبة ومساعدتهم بالأدوات المدرسية ـ

وفي المرحلة الرابعة، وجدوا في الفضائيات مرتعاً خِصباً، فأخذوا ينشرون أفلام الخلاعة، والأشرطة التي في ظاهرها العلم وفي باطنها السم، ثم انتقلوا إلى الواضح فكونوا فضائيات متخصصة في الدعاية للخلاعة واللواط ولما رأوا أن الدائرة كانت عليهم حيث أصيبوا بالأمراض التي لم يجدوا لها دواء ، عادوا باسم الدين ليحدثوا قنوات للمسيحية بكل اللغات واللهجات مع التركيز على المسلمين عرباً كانوا أم بربرا أمازيغ.

ومن أبشع ما وصلوا إليه، هو نشر النزاعات القبلية والإقليمية فحاولوا التفريق بين العرب والبربر، واستغلوا الحقد الذي زرعوه

بين الطوائف فأثاروا الفتن والفوضى وما حدث في منطقة تيزي وزّو بالجزائر خير دليل. ثم غزوا الجبال واستغلوا سذاجة سكانها وفقرهم وأصبحوا يصولون ويجولون حتى ظهرت الحركة عيانا في عقر بلاد المسلمين. وقد لاحظنا في بعض الفضائيات المسيحية أن أناساً من بني جلدتنا يدعون إلى المسيحية في جبال الأطلس والريف والأوراس وبكل اللهجات. والأخطر من هذا كله فإننا نجدهم حتى في الحواضر وقد صادفنا هدايا مسيحية في أيدي تلامذتنا وعلى سبيل المثال لاحظت تلميذة تعلق على عنقها صليبا على شكل مفتاح إذا قلبته لاحظت الصليب والناقوس

هذه إشارات بسيطة للطرق التي يستعملونها للوصول إلينا. وما يمكن استخلاصه هو هذه النفقات الهائلة التي ينفقونها للوصول إلى أهدافهم. وقد حدّثنا بعض العائدين من الخارج من أوروبا أنهم يجدون هذه الجماعات على أبواب البواخر والطائرات وعبر باحات الاستراحة على الطرقات. يمدونهم بالكتب والمجلات والأشرطة السمعية البصرية وقد وقعت في أيدينا هذه الأمور ومن أراد التحقق فليسأل أقرباءه أو جيرانه الذين جاءوا لقضاء عطلهم خلال الصيف وسيلاحظ هذه الأمور وهدايا أخرى عليها الصليب. يودعونهم بهذه الهدايا ونستقبلهم بالرقص والمجون والخمور.

لنحاسب أنفسنا. هل لنا دعاة في محطات الاستقبال والتوديع؟ هل حاولنا توزيع المصاحف والكتب الدينية على أبناء جاليتنا؟ هل حاولنا إكرام أبنائنا بعد عودتهم من ديار الكفر؟ هل عملنا على

تحسيسهم بدينهم وعاداتهم وتقاليدهم وتراثهم الإسلامي؟ اعلم أخي أننا كلنا نتحمل المسؤولية . على كل واحد منا أن يقدم شيئا لهذا الدين لأننا سنُسأل عنه يوم القيامة، بماذا سنرد؟

نسأل الله العظيم ذي العرش الكريم أن يجعلنا من الدعاة، اللهم اهدنا واهد بنا واجعلنا هداة مهتدين حتى نؤدي ما خلقنا من أجله آمين والحمد لله رب العالمين.

التسرع في الفتوى

(سبب هذا الدرس هو ان خصومة حدثت بين رجلين من المصلين. ذلك ان احدهما قام لأداء ركعتي تحية المسجد بعد آذان المغرب. فأراد الثاني أن ينبهه إلى أن الصلاة مكروهة حسب زعمه ما دامت صلاة المغرب لم تؤد بعد فاشتد الجدال حتى وصلا إلى السب والشتم واشتد الحقد بينهما فأخذ الثاني يمر بين يدي الأول إذا مر به وهو يصلي في نوع من التحدّي. وكان لزاما التدخل لحسم النزاع والصلح بينهما.)

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على من بُعِث رحمة للعالمين سيدنا محمد الصادق الأمين خير من صلى وصام وجاهد في الله حتى أتاه اليقين.

وبعد. يقول الله تعالى﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب...﴾ ويقول رسول الله ﷺ: "من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" وفي حديث آخر قال عليه السلام: "أسرعكم إلى الفتوى أسرعكم إلى النار".

قد يتساءل بعض الناس لماذا افتتحت هذا الدرس بهذه الأحاديث والآيات. وهي تحمل في طيّاتها ما تحمل من الترهيب والوعيد. ذلك أنني لاحظت جدلاً بين المصلّين وكثيراً ما يحدث في مساجد أخرى. وقد يصل هذا الجدال إلى الخصومة والشقاق والنزاع. وخلق البلبلة والتفرقة بين المسلمين. ومما حدث وهو سبب درس اليوم ذلك أن أحدهم قام لصلاة النافلة بعد آذان المغرب فأنكر عليه رجل من

الحاضرين فعله وقال إن صلاتك مكروهة. وارتقى بفتواه هذه إلى درجة الحرام. ولا ندري من أين استقى هذه الفتوى . والذي نعلمه أن ما بين كل آذان وإقامة صلاة. والحديث الذي نعرفه هو قوله ﷺ: "لا تصلوا لغروب الشمس ولا لطلوعها فإنها تطلع على قرني شيطان" إن آذان المغرب يدل على أن الغروب قد تم وانتهى. والنهي الوارد في الحديث ينتهي بانتهاء الغروب. وقد لاحظنا إخواناً لنا في المشرق يؤدون الصلاة بعد آذان المغرب. ويسمونها صلاة السنة. وفي بعض مساجدنا أعضاء من المجلس العلمي يؤديها بدون حرج .فعلى أي فتوى اعتمد هذا الأخ؟ الا يخشى أن يكون ممن يلحقهم قول الله تعالى ﴿أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلّى أرأيت إن كان على الهدى ...﴾ (العلق الآية 11)

لهذا لا يجوز لك أخي المؤمن أن تقول لغيرك: لا صلاة لك. أو صلاتك غير مقبولة . أو إنك لا تعرف الصلاة..الخ فإن أردت أن تنصح غيرك فهناك أساليب لإسداء النصح يجب مراعاتها.

كان الصحابة رضوان الله عليهم يتحرجون إذا سئلوا عن شيء في الدين. فهذا ابن مسعود رضي الله عنه كان يتصبب عرقاً عندما يستفتى في أمر من الأمور. خوفا من مثل هذه الأحاديث التي أوردتها في بداية هذا الدرس. وخوفا أيضاً من أن يسقط في من يلحقهم وعيد رسول الله ﷺ (من كتم علماً سئل عنه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من النار.)

من الأمور التي كثر فيها الجدال أيضاً أن أحدهم سمع قول المؤذن أثناء إقامة الصلاة "قد قامت الصلاة" فرد بقوله: أقامها الله ورسوله. فأنكر عليه رجل آخر هذا القول فاحتدّ الجدال بين الرجلين حتى كاد الأمر يصل إلى الضرب. والغريب في الأمر هو أن كلاً منهما غير متعلم. لذلك نقول: إقامة الصلاة من أقمت الشيء وقوّمته. وقام بمعنى استقام. وأقام الصلاة باعتدال ووقوف وخشوع. وخضوع.. وأقام الصلاة بمعنى أدامها. من قوله تعالى: ويقيمون الصلاة. أي على صلواتهم دائمون. وهي من أقام الشيء وأدامه وفي الحديث: تسوية الصف من إقامة الصلاة. وقوله: قد قامت الصلاة. معناه. حضرت وقام أهلها أو حان قيامهم. لذلك سواء عليك إن قلت سمعنا وأطعنا. أو قلت أقامها الله. أو أدامها الله. لذا ندعو إلى البحث في أمور أخرى أهم وندع النزاع والجدال. في مثل هذه الأمور. وإن أردنا أن نعرف أمور ديننا علينا أن نستفتي أولي الأمر. فهناك إمام وهناك فقهاء ومجلس للعلم.

من الأمور التي أثارت انتباهي. هو أن كثيراً من الناس يتجرّؤون على تفسير القرآن الكريم برأيهم وبدون أي علم من علوم القرآن. حيث لا يميزون بين الآيات المحكمات ولا المتشابهات. ولا يعرفون الناسخ والمنسوخ ولا القراءات. ولا سبب النزول ولا أي علم من علوم القرآن وإذا سألته: على أي شيء اعتمدت؟ قال على رأيي. أخرج الطبري والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار"

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فمن قال في القرآن برأيه فقد تكلف ما لا علم له به، وسلك غير ما أُمِر به، فلو انه أصاب المعنى في نفس الأمر لكان قد اخطأ . لأنه لم يأت الأمر من بابه، كمن حكم بين الناس على جهل فهو في النار وإن وافق حكمه الصواب في نفس الأمر. لكن يكون أخف جُرماً ممن اخطأ، والله اعلم" (الفتاوى باب التفسير) ورُوي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه سُئل عن قوله تعالى: ﴿وفاكهة وأبّاً﴾ فقال: "اي سماء تظلني واي ارض تقلني إن انا قلت في كتاب الله ما لا اعلم" هذا ابو بكر الذي شهد نزول القرآن ونزل فيه القرآن فكيف تتجرأ على الله يا أخي المؤمن؟

هناك أمر آخر تجدر الإشارة إليه وهو ما يحدث من نزاع بسبب مرور بعض الناس بين يدي المصلين. لا يجوز لك أخي المؤمن أن تفعل هذا خاصة إذا اتخذ المصلي سترة، لكننا لاحظنا أن كثيراً من المصلين يأتون مبكرين إلى المسجد ويجلسون في المؤخرة وربما عند الباب حيث لا يمكن المرور إلا بين يديه ثم يصلي صلاة النافلة أو يقضي وقتاً فائتاً ويظهر هذا بجلاء بعد صلاة العشاء، حيث يتسابق الناس إلى آخر المسجد لصلاة الشفع والوتر. والذي يحدث أولاً هو تلك الفوضى التي تعم المسجد حينما يتبادل المصلون الأماكن، فيمر هذا بين يدي ذلك. ويحدث الاختلاط ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فهؤلاء الذين لا يتركون ممراً قد أباحوا رقابهم ليتخطاها غيرهم. والذي يؤسف له هو أن الإنسان يرتكب الخطأ ثم يدافع عنه .

ختاماً نحذر من الخوض في الفتوى بلا علم أو التفسير بلا دراية. ويجب أن نرد الأمر إلى أهله. قال الله تعالى:﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلكم خير وأحسن تأويلا ...**﴾ (النساء 59) أسال الله ان يغفر لنا خطايانا وان يهدينا إلى صراطه المستقيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته اجمعين.

الحمد لله رب العالمين.

لا ضرر ولا ضرار

بسم الله الرحمن الرحيم، وأصلي وأسلم عل خير من نطق بالحكمة ، معلم ونبي الأمة سيدنا محمد بن عبد الله الصادق الأمين إمام المرسلين وخاتم النبيئين صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين وبعد:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال، قال رسول الله ﷺ: "لا ضرر ولا ضرار" يعتبر هذا الحديث عند أهل اللغة من الأمثال النبوية لذيوعه وانتشاره، حتى إننا نسمعه من العام والخاص، المتعلم وغير المتعلم، والأمثال هي نموذجات الحكمة والقرآن كله أمثال لقوله تعالى:﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له...﴾ وقوله تعالى في سورة الزمر آية 27: ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون...﴾ وفي سورة الإسراء89 :﴿ ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل...﴾ وإذا كان القرآن كذلك فالسنة أيضا فيها أمثال وحكم وهذا موضوع فيه كلام كثير.

توثيق الحديث

هذا الحديث رواه عدد من الأئمة وشيوخ الحديث، مثل ابن ماجة، والدارقطني، ومالك، وأحمد، والبخاري... مرتبته عند أغلب المحدثين حسن ولما رأى بعضهم أن طرقه أو بعض طرقه تقوي بعضاً، أدرجوه في مرتبة الصحيح، قال عنه الإمام البخاري رضي الله

عنه: "هو أصح حديث في هذا الباب" وقال عنه أبو عمرو بن الصلاح: "هذا حديث أسنده الدارقطني من وجوه. ومجموعها يقوي الحديث ويحسنه. وقد تقبله جماهير أهل العلم واحتجّوا به". وقال عنه ابو داوود: "إنه من الأحاديث التي يدور الفقه عليها".

لشرح هذا الحديث ندرج بعض الأحاديث التي لها علاقة به حتى يتيسر فهمه. ومنها قوله ﷺ : "من ضار ضارّ الله به. ومن شاقّ شاقّ الله به". رواه أبو داوود. والترمذي. وابن ماجة عن ابي صرمة. وهناك حديث آخر يقول فيه ﷺ: "ملعون من ضارّ مؤمناً أو مكر به." الحديث رواه الترمذي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

قوله ﷺ: "لا ضرر ولا ضرار" ورُوي: لا ضرر ولا إضرار بالهمزة كما هو في الموطأ وورد أيضا: لا ضرر ولا ضرورة ولا يمنع أحدكم جاره أن يضع خشبة على حائطه .. وفي رواية أخرى لا ضرر ولا ضرر كما ورد في تحفة الأشراف 119/5 الحديث 6016

اختلف الشارحون للحديث في هل بين اللفظتين فرق؟ فقيل الضرر اسم والضرار فعل واشتق منه الضرر. وقيل الضرر. أن يُدخِل عل غيره ضرراً بما ينتفع هو به والضرار أن يُدخِل على غيره ضررا بما لا ينتفع هو به. والأهم في هذا كله. أن كلاً من الضرر والضرار منهيٌ عنهما معا.

والضرر نوعان: الضرر بحق. والضرر بغير حق. الأول يراد به إلحاق الضرر بالمعتدي على حقوق الله وحدوده. كأن يُجلد او يعذّب.

أو يرجم. فالزاني المحصن الذي رُجِم نقول إننا الحقنا به الضرر بحق. وكذا السارق عند قطع يده. فقد أُلحق به الضرر بحق وهو ارتكابه جريمة السرقة.

أما الثاني، فهو الضرر بغير حق، وهو نوعان: الأول أن لا يكون في ذلك غرض سوى الإضرار بذلك الشخص، وهذا لا ريب في قبحه وتحريمه، ومثَله المضارّة في الوصية. قال تعالى: **﴿من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مُضار وصية من الله..﴾** (النساء 12) .وقد أكد سبحانه على عدم الإضرار في قوله (غير مضار) والمعنى: لتكن الوصية على العدل لا على الإضرار بأن يَحرِم بعض الورثة أو يُنقصهم أو يزيد على ما فرض الله لهم من الفريضة. قال رسول الله ﷺ: "إن العبد ليعمل بطاعة الله ستين سنة، ثم يحضره الموت فيُضارّ في الوصية فيدخل النار." ثم تلا قول الله **﴿تلك حدود الله..﴾**.

وقال ابن عباس: "الإضرار في الوصية من الكبائر". ثم تلا الآية: تلك حدود الله. وسداً للذرائع قال ﷺ: لا وصية لوارث، ومن وصّى لأجنبي بأكثر من الثلث سقطت الوصية لما فيها من الضرر سواء قصد الموصي أم لم يقصد فإن قصد أُثم.

ومن الضرر ايضاً الرجعة في النكاح: قال تعالى:**﴿لا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا﴾** ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه. ذلك أن العربي كان يطلق زوجته فتعتد، ثم إذا قرب اجل العدة ارجعها اعتماداً على النص:**﴿وبعولتهن أحق بردّهن في ذلك إن أرادوا إصلاحا.﴾** ثم يطلقها فتعتد

حتى إذا قرب انتهاء العدة أرجعها ثانية ثم يطلقها فتعتد. والسبب في ذلك هو إبطاء أو تعطيل زواجها من غيره. وتبقى المرأة لا هي مطلقة ولا هي متزوجة. فأبطل الله ذلك. فحصر الطلاق في مرتين قال تعالى:﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ وعند الإمام مالك أن من راجع زوجته قبل انتهاء العدة ثم طلقها من غير مسيس وقصد مضارّتها بتطويل العدة. فإن هذه المرأة لا تعتد. أي لا تستأنف العدة .

ومن الضرر المحرم الإيلاء. وهو أن يقسم الرجل على الامتناع عن وطء زوجته ظالماً. هذا الرجل تعطى له مهلة أربعة أشهر حسب النص القرآني.

يقول الله تعالى: ﴿ للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم﴾ لذلك إن فاء ورجع كان رجوعه توبة له. وإن امتنع ففيه قولان. الأول: أن تطلق عليه بمضي أربعة أشهر. والثاني: يوقف فإن فاء فلا شيء عليه. وإلاّ أُمر بالطلاق. وقال جماعة: إن ترك الوطء أربعة أشهر بغير عذر ثم طلبت الزوجة الفرقة فُرّق بينهما لأن الوطء واجب في هذه المرحلة عند المالكية.

ومنه من أطال السفر لغير عذر أو سبب شرعي وطلبت زوجته قدومه فأبى. هذا الرجل عند الإمام أحمد تعطى له ستة أشهر. وعند إسحاق سنتان. أما الإمام مالك فيقول بالفسخ والطلاق لمضي مدة أربعة أشهر. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أمر بألاّ يغيب

المجاهد عن زوجته أكثر من أربعة أشهر. وقد حدث هذا لمّا كان رضي الله عنه يتفقد رعيته ليلاً فسمع صوت امرأة تقول :

تطاول هذا الليل واسودّ جوانبه وأرقنـــي ألاّ خليـــل أداعبـــه

فوالله لولا الله أنـــي أراقبـــه لحرّك من هذا السرير جوانبه

فسأل عنها فقيل له إن زوجها قد خرج للجهاد. ومن ثم أمر برجوع كل جندي قضى أربعة أشهر إلى أهله. ومن خلال هذه الأحكام يتبين لنا أن الإسلام لم يغفل حقوق المرأة حتى في هذا الجانب. وأن من ينادون اليوم بحقوق المرأة إنما يسعون لهضم حقوق منحها الإسلام لها . واستغلالها في ما حرم الله .

الضرر في الرضاع: قال تعالى:﴿لاتضارّ والدة بولدها ولا مولود له بولده﴾. والمعنى. ألاّ يمنع الرجل الأم من ولدها ليُحزِنها . لذلك كانت الأم أولى بالحضانة إن حدث الطلاق. ولا يجوز للرجل أن يمنع زوجته ويحرمها من إرضاع ابنها إلاّ إذا أراد أن يحافظ عليها للاستمتاع بها شريطة أن يجد للمولود مرضعة. أما أن تُضارّ الأم بولدها كأن تطلب أجراً كبيراً للرضاعة قد يضر بالوالد. ففي هذه الحالة إن وجد الأب مرضعة أقلّ كُلفة. فإنه لا يستجيب للأم لأنها تقصد المضارّة.

الضرر في البيع: لقد نهى رسول الله ﷺ عن بيع المضطرّ. فقال: ﴿إن كان عندك خير تعود به على أخيك وإلاّ فلا تزيدنّه هلاكاً على هلاكه.﴾ وقال بعض العلماء :بيع المضطرِ ربا. ويرى الإمام الخطابي أن بيع

المضطر يكون على وجهين: الأول، أن يضطر إلى البيع لدين عليه، أو مؤونة ترهقه، قال: هذا سبيله في حقّ الدين والمروءة أن لا يبايَع على هذا الوجه، ولكن يعاد ويُقرض ويستمهل. والثاني، أن يضطر إلى البيع عن طريق الإكراه، وهذا فاسد لا يعتدّ به. أما شراء المحجوزات من عند الجمارك والدرك والسلطة فهذا فيه نظر. ولرفع اللبس ننظر إن كان فيه ضرر من أجل الإضرار فهذا قد أشرنا إلى حكمه، أما إن كان غير ذلك فهو ما سنتحدث الآن عنه وهو النوع الثاني، أي أن الضرر غير مقصود به إضرار الغير، مثل أن يتصرّف في ملكه بما فيه مصلحته، فيتعدّى ذلك إلى الغير، وهو نوعان: النوع الأول: إن كان هذا الانتفاع الذي يؤدي إلى ضرر الغير على غير وجه المعتاد، كالذي يؤجج ناراً في أرضه في يوم عاصفٍ فيحترق ما يليه.فإن هذا الرجل يكون متعدّياً بفعله هذا. أما إن كان على وجه المعتاد ففيه قولان: الأول عدم المنع وهو قول الشافعي وأبي حنيفة. والثاني المنع وهو قول الإمام أحمد. ومَثله: فتح نافذة في بنائه العالي ليشرف على جاره أو إطالة البنيان لمنع الشمس والهواء. قال رسول الله ﷺ: "لا يستطيل عليه بالبناء فيحجب عنه الريح إلا بإذنه". أو كمن حفر بئراً قرب بئر جاره ليذهب بمائه.قال رسول الله ﷺ: "لا تَضارّوا في الحفر وذلك أن يحفر الرجل إلى جنب جاره ليذهب بمائه." ومن هذا القبيل أيضاً ما يُحدثه في ملكه ما يضر بملك جاره كالدّقِ والهرس، والهزِّ وحفر الأساس وهو ممنوع عند مالك. ومنه بعض أشغال البيت التي تكون في وقت راحة الجيران فتقلقهم.

ومن هذا النوع، أن يكون لأحدهم ملكٌ في أرض غيره، كالذي حدث في عهد رسول الله ﷺ أن رجلاً كان له نخل في حائط رجل أنصاري، وكان الأنصاري مع أهله، ويدخل الأول على نخله فيتأذّى الأنصاري من ذلك، فطلب منه أن يناقله فأبى، فأتى النبي ﷺ فذكر له ذلك، فطلب إليه النبي ﷺ أن يبيعه فأبى، وطلب أن يناقله فأبى، فقال هبه له ولك كذا وكذا.. ورغبه في ذلك فأبى، فقال النبي ﷺ للرجل: أنت مضار، وقال للأنصاري اذهب فاقطع نخله .ويستدل بهذا الحديث على وجوب البيع إذا تعذرت القسمة. كما يستدل بالحديث: "لا تعضية في الميراث إلا ما احتمل القسمة" أي ما لا يمكن قسمته وجب بيعه وقسِّم ثمنه.

هناك أمور يجوز فيها الإجبار، كالذي يريد أن يمنع الماء الذي يمر على أرضه إلى أرض أخرى، فهذا يُجبر على تركه، ونفس الحكم بالذي يمنع فضل الماء. قال رسول الله ﷺ: "لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به الكلأ." ويذهب الإمام أحمد إلى وجوب سقي الماء للشرب، وسقي البهائم والزرع، بينما لا يجيزه الشافعي للزرع ويجيزه لغير ذلك. ومع ذلك يبقى الناس شركاء في ثلاث: الماء والنار والكلأ. وللإشارة عثرنا على بعض الأحاديث فيها نهي عن كراء الأرض للرعي منها ما رواه الحميدي في مسنده حين قال: حدثني سفيان قال حدثنا عمرو بن دينار قال سمعت عبد الله بن عمر يقول: كنا نخابر ولا نرى في ذلك بأساً حتى زعم رافع بن خديج

أن رسول الله ﷺ نهى عنه فتركنا ذلك من أجل قوله. (انظر مسند الحميدي 1/ 198 الحديث 405). وقد ورد الحديث نفسه في مسند الإمام أحمد والشافعي. كما ورد في المعجم الكبير 4/ 241 أن الرسول ﷺ نهى عن كراء الأرض.

ومما يدخل في عموم لفظة الإضرار: أن الله تعالى لم يكلف عباده ما يضر بهم. فأسقط الطهارة عند العذر وقال: **﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج﴾** كما أسقط الصيام عن الحاج والمريض فقال: **﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾** ورفع الزكاة عن الفقير. ونبينا محمد ﷺ يقول: "أرسلت بالحنفية السمحة" وفي الصحيحين. أن النبي ﷺ رأى رجلاً يمشي قيل إنه نذر أن يحجّ ماشياً فقال: "إن الله لغني عن تعذيب هذا نفسه. فليركب" ومما يدخل في عمومه أن من كان عليه دين لا يُطالب به ولا يكلَّفُ المدين أن يقضي ما عليه في خروجه من مسكنه أو ملبسه أو ما يقتات منه قال تعالى: **﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون.﴾** (البقرة 280).

نسأل الله أن يعلمنا أمور ديننا وأن يتقبل منا صالح أعمالنا آمين والحمد لله رب العالمين.

باب من أبواب صرف الزكاة

(كثر السؤال في المسجد الذي أُلقي فيه هذه الدروس، هل يجوز صرف الزكاة في بناء مسجد أو توسيعه أم لا يجوز؟ فمن الناس من قال:بعدم جوازها باعتبارها من أوساخ المال وبيت الله يجب ان يكون مطهّراً، ومنهم من أدرجها في قوله تعالى: وفي سبيل الله. لأجل هذا عُدتُ إلى فتاوى مجمع الفقه الإسلامي واخذت منه بعض الآراء التي عرضتها بأمانة حتى لا اتحمل مسؤولية الفتوى.)

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد الصادق الأمين الذي بلغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حتى أتاه اليقين، وبعد يقول الله تعالى في سورة التوبة: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ (التوبة 6.)

معنى قوله تعالى: في سبيل الله: هذا باب تكلم فيه الفقهاء والمفسرون كثيراً، واختلفوا فيه. فمنهم من قال: إن المقصود بلفظة سبيل الله: الجهاد وقال آخرون أنه صار لكثرة الاستعمال فيه كأنه مقصور على الجهاد (انظر تفسير ابن كثير للآية.) ويرى آخرون أن لفضة سبيل جاءت بمعنى كل طريق يؤدي إلى طاعة الله اي طريق البرِّ عامّة انطلاقاً من المعنى اللغوي للفضة السبيل.إذ السبيل معناه الطريق. وسبيل الله هو الطريق الاعتقادي والعملي الموصِل إلى مرضاة الله، ومثوبته. وقد ورد في القرآن ذكر الهجرة في سبيل الله.

والإنفاق في سبيل الله، وبصفة عامة نقول إن سبيل الله هو طريق البر عامّة .

وكما اختلفوا في فهم معنى سبيل الله اختلفوا في فهم الجهاد، هل يكون بالسيف فقط؟ وهل بذلُ المال يُعدّ في سبيل الله وجهاداً؟ سُئل رسول الله ﷺ: أي الجهاد أفضل؟ فقال: كلمة حقٍّ عند سلطان جائر.وإذا كانت كلمة الحقِّ جهاداً كيف لا يكون الإنفاق في سبيل الله جهاداً؟ والله تعالى في سورة الصف يقول: ﴿**وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم**﴾ (الصف 12)

عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال، قال رسول الله ﷺ "ما من نبيٍّ بعثه الله في أمة قبلي إلاّ كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنّته ويقتدون بأمره. ثم إنهم تخلف من بعدهم خُلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس من وراء ذلك من الإيمان حبة خرذل." (رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود) وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال يقول رسول الله ﷺ "جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم والسنتكم". (رواه أحمد وأبو داوود، والنسائي وابن حبان وغيرهم عن أنس بن مالك: أنظر الحديث في شرح الجامع الصحيح للمناوي 425/1)

هذه نصوص حديثية عن أنواع الجهاد وكيف يكون وأنواعه وفي القرآن ما يؤكد هذه النصوص نذكر قول الله تعالى: ﴿إنما المومنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾ (الحجرات 15) انطلاقاً من هذه النصوص ونصوص أخرى لم يسمح الوقت بسردها يمكن أن نطرح الأسئلة التالية: أليس إنشاء مدرسة إسلامية خالصة تعلم أبناء المسلمين ما يحتاجون إليه في دينهم ودنياهم ويحصِّنهم من معاول التخريب الفكريّ والخلقي وتحميهم من كثير من السموم جهاداً؟؟ أليس إحداث مكتبة إسلامية للمطالعة في مواجهة المكتبات الهدّامة جهاداً؟؟ أليس إنشاء مطبعة لنشر تعاليم الإسلام جهاداً؟؟ أليس إحداث مستشفيات إسلامية لعلاج المسلمين وإنقاذهم من استغلال الإرساليات التبشيرية المضلة جهاداً؟؟ الجواب هو أننا إذا حاولنا تحليل كلمة جهاد نجدها لا تعني المفهوم العسكري فقط. لأن الجهاد يكون فكرياً وتربوياً واجتماعيا واقتصاديا وسياسياً كما يكون عسكرياً. وكل هذه الأنواع تحتاج إلى الإمداد والتمويل. والأهم في ذلك كله هو تحقيق شرط النصرة للإسلام وإعلاء كلمة الله في الأرض. فأيٌ جهاد أُريدَ به أن تكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله. أياّ كان الجهاد وسلاحه. لذلك نجد بعض الفقهاء جوزوا توظيف الزكاة في بعض المرافق العمومية التي تعود بالخير والمصلحة على الفقراء وحتى المستضعفين وطلبة العلم وفي إنشاء المدارس وبناء المستشفيات والمساجد. وغيرها من المرافق العمومية التي تعود على الأمة

بالخير والصلاح. ومن الذين ذهبوا إلى هذا الرأي نذكر على سبيل المثال لا الحصر الدكتور يوسف القرضاوي والونشريسي وغيرهما. نسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا وأن يزيدنا علماً. ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

جلب المصلحة ودرء المفسدة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على إمام المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين .وبعد حديث هذه الحلقة يتعلق بجلب المصلحة ودرء المفسدة,وقبل الخوض في هذا الموضوع لابد من التعريف بالمصطلحات .

المصلحة عند أهل اللغة على وزن مفعلة, وهي مصدر ميمي أريد منه الحدث دون الزمان والمكان, ومعناه الصلاح والحسن الموجود في الفعل, وتجمع على مصالح, والاستصلاح نقيض الاستفساد. (انظر لسان العرب لابن منظور) أما عند رجال التشريع الإسلامي فقد عرفها الأصوليون, بأنها تشريع الحكم في واقعة لا نص فيها ولا إجماع بناء على مراعاة مصلحة لم يرد الشارع باعتبارها أو بإلغائها. وعرفها أبو حامد الغزالي بأنها عبارة عن جلب منفعة أو دفع مضرّة (انظر المستقصي 286/1) وهو بهذا نجده يعني بها كل ما يحافظ على الكليات الخمس.

أما ابن عاشور فيعرفها بقوله: "المصلحة وصف للفعل يحصُلُ به الصلاح أي النفع منه دائما أو غالباً للجمهور أو للأفراد. وتحقيق الحد الذي نعتبر به الوصف مصلحة أو مفسدة أمر دقيق في العبارة ولكنه ليس عسيراً في الاعتبار والملاحظة". (مقاصد الشريعة 66 لابن عاشور) .

نخلص من هذه التعريفات إلى أن الإسلام جاء بانياً أحكامه على جلب المصالح للناس ودرء المفاسد، لأنه يسعى إلى مصالح الناس ومنافعهم وكل الناس متفقون على أن التشريع الإسلامي قائم على حِكم ومقاصد لرعاية مصلحة الخلق فكل حكم من أحكام الشريعة مرتبط ارتباطاً وثيقاً بحكمة أو مصلحة ومنفعة دعت إلى تقرير ذلك الحكم وتشريعه.

فالعلماء والفقهاء متفقون على اعتبار المصلحة والأخذ بها إذا دلّ دليل شرعي على اعتبارها. وعدم اعتبارها إذا قام دليل على إلغائها.ويمكن تقسيم المصلحة إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: المصلحة التي قام دليل على اعتبارها، وهي إما ضرورية أو حاجِّية أو تحسينية. فالضرورية هي التي تتوقف عليها مصالح الناس وتكون بالمحافظة على الكليات الخمس (النفس، المال، العقل، الدين، والنسل) .أما الحاجية فهي التي يحتاج إليها الناس لرفع الحرج، والتحسينية هي التي تكون من قبيل تحسين العبادات، كالتجمّل في المحافل والأعياد، ونبذ كل ما فيه رائحة كريهة...الخ

القسم الثاني: هي المصالح التي لم يعتبرها الشارع، وألغاها إذا قام دليل على إلغائها، لأن الشرع الإسلامي لا ينظر إلى مجرد المصلحة الفردية بل ينظر إليها من زاوية مصلحة الجماعة. فمن أجل مصلحة نجده يحُدُّ من بعض تصرفات الفرد ويضحّي بالبسيط، وهذا ما يشير إليه قوله ﷺ: "لا ضرر ولا ضرار". وقد سبق الحديث عنه.

ومن أمثلة هذه المصالح الملغاة: التطاول في البنيان وقد سبق ذكره في درس سابق ومن مظاهره حرمة الطريق، وعدم الاعتداء عليه كالذي نلاحظه عند كثير من الباعة المتجولين حيث يقطعون الطريق بمعروضاتهم، ومنه حرمة المساكن إذ لا يجوز دخولها بدون إذن أصحابها، ومنه أيضاً قطع أصبع الشاهد للزور، وقد ألغاها الشارع حفظاً للنفوس والأبدان، إلاّ بحدود جاءت في التشريع كقطع يد السارق...إلخ . خلاصة نقول إن الشارع لا يلغي مصلحة إلاّ إذا عارضتها مصلحة أخرى أرجح منها، لذلك وجبت العناية بالنصوص، وحسن تطبيقها وتأويلها.

القسم الثالث: وهي المصلحة التي لم يقم دليل على اعتبارها ولا على إلغائها، وهي ما يمكن تسميتها بالمرسلة لأنها غير مقيدة.ويعرفها الإمام مالك رضي الله عنه بأنها هي التي لم يقُم دليل من الشارع على اعتبارها ولا على إلغائها وإنما سُمِّيت مرسلة لأن الشارع أرسلها فلم يقيدها باعتبار ولا بإلغاء، وذهب الإمام إلى اعتبارها كنظائرها من المصالح عند تحقيقها، ويشترط للأخذ بها ثلاثة شروط:

1) أن تكون متفقة مع مقاصد الشرع ولا تتنافى مع أصل من أصوله ولا دليل من أدلته.

2) أن يكون في الأخذ بها حِفظُ أمر ضروريّ أو رفع حرج لازم في الدين لقوله تعالى: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ (الحج 78)

3) أن تكون معقولة في ذاتها تتلقاها العقول بالقبول .

وخلاصة القول فإن التشريع الإسلاميّ أسس على المصالح مع إيضاحها وتسهيل فهمها على الناس يقول الله تعالى: **﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾** (المائدة 6) فالقرآن الكريم يدعو للوضوء لوجود مصلحة هي التطهر. وأمر بالصلاة لوجود مصلحة عامّة واضحة وهي أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر. قال تعالى: **﴿وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكرُ الله أكبر والله يعلم ما تصنعون﴾** (العنكبوت45) ونجده أيضاً ينهى عن شُرب الخمر ولعب الميسر لاتقاء المضارِّ المترتبة عليها.

يقول سبحانه وتعالى: **﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصُدّكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون.﴾** (المائدة91).

ومن الأدلة التي يستند إليها القائلون بجواز الأخذ بالمصالح المرسَلة ما يُروى عن قصة جمع القرآن حين رأى عمر بن الخطاب وأبو بكر الصديق رضي الله عنهما المصلحة في جمع القرآن من صحف متفرقة إلى مصحف واحد ولما أفتى عمر أبا بكر بجمع القرآن لما رأى القتل استفحل بحملة القرآن في معركة -قتال أهل اليمامة- مع العلم أن رسول الله ﷺ لم يجمع ولم يأمر بجمعه.

ومن الأمثلة على ذلك: إسقاط عمر بن الخطاب رضي الله عنه سهم المؤلفة قلوبهم لزوال العلة كما أسقط حدّ قطع يد السارق في عام المجاعة كما منع بيع الإماء امهات الأولاد(يُروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما علم ان جارية من قريش كانت تصرخ لمّا بيعت أمها امام عينيها فقال عمر في الناس : هل كان فيما جاء به محمد ﷺ القطيعة؟ قالوا: لا. قال: فإنها أصبحت فيكم فاشية ثم تلا قول الله: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾ ثم قال: وايّ قطيعة اقطع من ان تباع أم امرئ منكم وقد اوسع الله لكم. ومنذ ذلك الحين مُنع بيع امهات الأولاد.

وحدث في عهد سيدنا علي كرم الله وجهه أن رجلاً كان يلاحق آخر ليقتله وكاد الهارب أن يتسلق ويفر. إلاّ أن أحداً من المارّة أعان الملاحق وساعده على المسك بالرجل الهارب فلمّا تمكن منه خصمه قتله. وكان رجلٌ رابع بالطريق ينظر ولم يساعد القتيل ولم يسع لإبعاد الموت عنه. فقضى سيدنا علي كرم الله وجهه بأن يُقتل القاتل ويُسجن المساعد حتى الموت وبأن تُفقأ عين الذي كان يرى وهو يُشاهد ولم يساعد ولم يُنجد. وهذا من باب قاعدة المصلحة ونلاحظ أن الامتناع عن النجدة أصبح من باب الجريمة يُعاقب عليها القانون في كثير من القوانين الوضعية في عصرنا الحاضر.

نسأل الله تعالى الكريم رب العرش العظيم أن يهدينا إلى ما فيه مصلحة العباد والبلاد. وأن يجعلنا ممن يسمعون القول ويتبعون أحسنه آمين والحمد لله رب العالمين.

الصهيونية: تعريفها وأهدافها

بسم الله الرحمان الرحيم الحمد لله رب العالمين الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون. والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين خير من جاهد في الله حتى أتاه اليقين. وبعد: يقول الله تعالى في محكم كتابه: ﴿**ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعواو ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**﴾ (البقرة 217)

وقال رسول الله ﷺ: "يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها.قال قائل. أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: بل أنتم كثير. ولكنكم غثاء كغثاء السيل. ولينزعنّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم. وليقذفن في قلوبكم الوهن. فقال قائل. وما الوهن يا رسول الله؟ قال حب الدنيا وكراهة الموت."

يعيش العالم اليوم على وقع الصراع القائم بين المسلمين واليهود. وهذا الصراع ليس جديداً بل هو قديم جداًّ. فمنذ الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة واليهود يقاومون الإسلام ويسعون لإذايته بكل ما يستطيعون من الوسائل. ذلك أنهم تنكّروا لكل الاتفاقيات المُبرمة معهم من طرف الرسول الأعظم سيدنا محمد ﷺ رغم أن تلك الاتفاقيات كانت تضمن لهم الحرية الكاملة في كل

شؤونهم الدينية والدنيوية. فاشتد مكرهم وكلما زاد انتشار الإسلام كلما زاد غيظهم وحقدهم مما أدى إلى تلك المواجهة التي أودت إلى اقتلاع جذورهم من الجزيرة العربية. فزاد حقدهم فراحوا يتظاهرون باعتناقهم الإسلام ليدسّوا الدسائس للإيقاع بالإسلام والمسلمين كلما سنحت لهم الفرصة .

كانت أول فرصة استغلّوها حين دبّت الفتنة بين المسلمين بعد وفاة الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه. حيث لقي عبد الله بن سبأ اليهودي الفرصة وراح ينفُثُ سمومه ويُشعِل نار الفتنة. وأحدث السبئية التي هي أولى الحركات اليهودية في الإسلام. تبعتها حركات أخرى إلاّ أنها لم يُقدّر لها البقاء. وكان مصيرها الاندحار والفناء. حتى برزت الماسونية. وهي جمعية سرّية يهودية في القرن الثامن عشر الميلادي. وكان أول مؤتمر لها سنة 1717م في بريطانيا. واتخذت شعارها المعروف (الحرية الإيخاء المساواة) (liberté- égalité- fraternité) فكان معنى الحرية: التحرر من كل الأديان والمعتقدات. وارتكاب كل شيء دون وازع ديني. أما الإخاء فيقصدون به محاربة الدين فلا فرق بين الموحد والملحد. ولا بين المجوسي والدهري. أما المساواة فطالبوا بالمساواة بين الغني والفقير وادعوا محو الطبقية. فملأوا قلوب الفقراء على الأغنياء وهدفهم من ذلك تفكيك المجتمعات وزرع الشِقّاقات. وكانوا هم المؤجِجون لنار الحربين العالميتين حيث خسر الغالب والمغلوب وكان الفائز هم اليهود الذين أحرزوا على وعد بِلفورد المشؤوم.

كان هدف اليهود هو السيطرة على العالم وحكمه من القدس ثم من روما على يد ملك يهودي من سلالة سليمان.وتلك أسمى أمانيهم. فسعوا وما زالوا يسعون إلى إعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى، وهدفهم الباطن هو هدم المسجد لا غير. وللوصول إلى الهدف عملوا على طرد الفلسطينيين من أرضهم وإبادتهم . ثم نادوا بنسف كل الأديان والعقائد، وقد نادت بهذا جِهارا في مؤتمر عقدته الصهيونية في مدينة (بال) بسويسرا سنة 1897 تحت رئاسة زعيمها (هرتزل) . ومن نتائج هذا المؤتمر البروتوكول الرابع عشر الذي جاء فيه:(حينما نكون سادة الأرض لن نبيح قيام أي دين غير ديننا لهذا السبب يجب علينا أن نحطِّم كل عقائد الإيمان، وأن تكون النتيجة المؤقتة لهذا هي إثمار الملحدين، ولن يدخل هذا في موضوعنا، ولكنه سيضرب مثلاً للأجيال القادمة التي ستصغي إلى تعاليمنا على دين موسى الذي وُكِّل إلينا بعقيدته الصدقة واجب إخضاع كل الأمم تحت أقدامنا ـ)

وهكذا حملت لواء الشرّ فدَعتْ إلى التخلّي عن الأخلاق القومية مع غير اليهود. فلهم أن يسرقوا الأمِيين ويقصدون بهم العرب، ويغُشّوهم ويكذبوا عليهم ويخدعوهم، ويغتصبوا أموالهم ويهتكوا أعراضهم ويرتكبوا في معاملاتهم كل الموبقات، والله لن يُعاقبهم عن هذه الجرائم، بل سيثيبهم عليها ولا يرضى منهم إلاّ بها حسب اعتقادهم.

وعلى هذا الأساس انطلقوا في العالم ليخرّبوه، وإثارة الخلاف خاصة بين العرب والمسلمين. فأشعلوا نار الفتنة بين أهل السنة

والشيعة، وبين العرب والأتراك، وأرادوا أن يوقدوها بين العرب والبربر. وقد تمكنوا من ذلك نسبياً في جبال الأوراس بالجزائر وبدأوا في المناورة بين العرب والبربر في المغرب حيث أسسوا الجمعيات الداعية إلى نشر البربرية والأمازيغية، كما أشعلوا نار الفتنة بين المسلمين والهندوس وبين النصارى والمسلمين وبين العرب والعرب إذ لا نجد دولتين عربيتين تعيشان في أمن وسلام وحسن جوار. كما عملوا على إحداث مدارس هدّامة كالمدرسة الفرعونية في مصر، والفينيقية في لبنان، والآشورية في العراق والبربرية في الجزائر والمغرب. ونسمع الآن كيف طوّقوا العالم العربي والإسلامي ليخرجوه من عنق الزجاجة. والأحداث التي نسمعها كل حين خير دليل على هذا القول وما يحدث في العراق وفلسطين والبوسنة والهرسك وأفغانستان وباكستان والشيشان، وما يخطط لسوريا وإيران، ولكل دولة دورها ولهم قوائم مرتبة كلما انتهوا من دولة انتقلوا إلى أخرى . وليس للعرب في الأخير إلاّ أن يقولوا: أُكلت يوم أكِل الثور الأبيض، نسأل الله العلي القدير أن يفضحهم وأن يخيِّب مسعاهم ويردّهم على أعقابهم خاسرين آمين والحمد لله رب العالمين.

الأضحيـــة

(قدمت هذا الدرس بمناسبة حلول عيد الأضحى، لأوضح بعض احكام الأضحية، وكيفية الذبح بعدما تبين لي ان كثيراً من الناس يشترون الكبش ويذبحوه عادة لا عبادة)

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين خير من أدّى الأمانة، وبلغ الرسالة، وجاهد في الله حتى أتاه اليقين وبعد: يعتقد كثير من الناس أن الأضحية أو الذبح يوم العيد إنما هي من قبيل العادة فتراهم يتفاخرون في اقتنائها ويتباهون على بعضهم البعض. وهذا يدل على أنهم لا يعرفون قدر هذه العبادة عند الله وعلى أنها قُربة من القُرُبات.

فالأضحية عبادة من العبادات اقتداءً بسيدنا إبراهيم عليه السلام الذي رأى في المنام أنه يذبح ولده، فامتثل لأمر ربّه وهمّ بذبح ابنه لكن الله فداه بذِبح عظيم، ثم تبعه سيدنا محمد ﷺ الذي ضحّى بكبشين أقرنين أملحين، حيث ذبح الأول وقال: اللهم هذا عن محمد وعن آل محمد، ثم ذبح الثاني وقال: اللهم هذا عمن لم يضحّ من أُمتي وذلك بعد أن ذكر اسم الله عليهما وحرص على هذه السنة حتى أتاه اليقين. ومن ثَمّ يُجمِع الفقهاء على أن الأضحية سنة مؤكدة لغير الحاج والفقير. وأفضلها الذكر من الغنم. ويُشترط فيها أن تكون قد دخلت في سنتها الثانية ولو بيوم واحد.

أما عن وقتها، فتكون بعد صلاة الإمام وخُطبته بالنسبة للإمام، أما عامة الناس فوقتها بعد أن يذبح الإمام، فإن رفض الإمام الذبح أو تباطأ تُرك مقدار ما يذبح، ويستمر وقتها إلى اليوم الثالث، والأفضل على الترتيب: اليوم الأول من بعد الإمام إلى الغروب، واليوم الثاني من وقت صلاة الضحى إلى الزوال ونفس التوقيت بالنسبة لليوم الثالث. وأفضل الأضاحي ما اجتمع فيها الإهداء والصدقة والأكل.

امّا شروط الأضحية فهي أربعة: أولها النهار إذ لا يجوز الذبح بالليل، وثانيها الإسلام، وهو شرط صحة لكل العبادات، وثالث شروطها عدم الاشتراك في ثمنها. ويجوز إشراك الغير في الأجر، كالأهل والجار، ومن تجب عليك نفقته. أما الشرط الرابع أن تكون سالمة من العيوب، فلا تكون عرجاء ولا عوراء ولا مكسورة القرن...

ومندوباتها ستة: سلامتها من كل عيب، وسلامة أذنها من الشق أو القطع، وأن تكون سمينة، وأن تكون حسنة المنظر، وان تُبرز أمام المصلين بالنسبة للإمام. وأخيراً أن يكون ذبحها بيد صاحبها أي المضحّي. ويكره نيابة المضحي لغيره بغير ضرورة وقول المضحّي عند الذبح اللهم منك وإليك كما يكره شُرب لبنها بعد الذبح أو جزّ صوفها قبل الذبح أو بيعه، ويكره أيضاً إطعام الكافر منها.

ومن مكروهاتها التغالي في ثمنها من أجل المباهاة. وفعلُها على ميت إن لم يكن عيّنها قبل موته ويُمنع قطعاً بيع شيء منها كيفما

كان، أو إعطاء أجرة الجزّار بجزء منها. كما يُمنع التبادل منها، كأن تعطي لهذا الفخذ ويعطيك الكتف.

يُعرّف الفقهاء الذكاة بأنها السبب الموصل لحل أكل الحيوان البرّي في حال الاختيار. وأنواعها: الذبح النحر والعقر، وما يموت به ما ليس له نفس سائلة. والذي يهمنا من هذا هو الذبح لأننا مقبلون على ذبح الأضاحي اقتداء بنبينا محمد ﷺ والذبح عند الفقهاء هو قطع المميز المسلم جميع الحُلقوم والوذجين من المقدم بمحدد بلا رفع للآلة قبل التمام بنية إحلال المذبوح. (والإمام مالك يذهب هذا المذهب) ونحاول توضيح معاني هذا التعريف جزء بعد جزء.

فقوله قطع جميع الأوداج يُراد به قطع العروق التي تحمل الدم إلى الوجه وإلى الرأس وفي الغالب هما ودجان ولا يُجزئ الذبح بدون قطعهما. والمعنى أنه يجب قطع الحلقوم بتمامه، والأوداج ، وقيل يُكتفى بقطع الودجين كاملين ونصف الحلقوم وهو ما يذهب إليه الشيخ سحنون. والظاهر من هذا الراي أنه لا يُشترط قطع المرئ . أما قوله وإن رفع الذابح يده عن الذبيحة بعد قطع بعض ذلك الحلقوم والأوذاج . ثم أعاد يده فأجهز فلا تؤكل. ظاهر القول أنه إذا رفع الذابح يده ثم تبين له أنه لم يُكمل الذبح رجع فأجهز ثانية فإن هذه الذبيحة لا تُؤكل سواء أطال الذابح الرفع أم لم يُطل. ويرى ابن حبيب أنه إذا لم يُطل تُؤكل. لأن المطلوب في الذبح الفور. ويبقى المؤكد أن لو رفع الذابح يده بعد قطع الأوداج والحلقوم وعاد بعد فلا تؤكل حتى ولو كان اضطراراً كأن تكون السكين غير حادة.

لذلك يجب أن يحد الذابح شفرته. وقيل أنه إذا قلب الذابح السكين سهواً ورفعها ثم عاد وقلب السكين وأنهى الذبح جاز أكلها شريطة العودة عن قُرب. أما الذي تمادى في الذبح حتى قطع الرأس فهذا قد أساء وتؤكل الأضحية. أما الذي ذبح من القفا فلا تؤكل ذبيحته.

هناك بعض الطقوس التي لاحظناها وهي من البدع المحرمة ومن الشعوذة. كالاحتفاظ بالدم أو وضعه على جبين الصغار ورمي الملح في مكان الذبح. والاحتفاظ ببعض الأجزاء للشعوذة كالمرارة وغيرها. وخلاصة القول: إن الأضحية عبادة فلا يجوز إفسادها وإبطالها بمثل هذه الخرافات والبدع .

نسأل الله القبول والتوفيق. وأن يهدينا سبل الرشاد . اللهم اهدنا واهد بنا واجعلنا هداة مهتدين. اللهم تقبل منا صالح أعمالنا آمين والحمد لله رب العالمين.

لمحات من السيرة النبوية

(بمناسبة ذكرى مولد المصطفى سيدنا محمد ﷺ كان لابد من الوقوف عند بعض المحطات من سيرته عليه الصلاة والسلام، لغرس محبته في قلوب المومنين ولمحاربة بعض البدع التي اعتاد بعض الناس عليها . ثم لتذكير الطلبة والتلاميذ بأهمية مطالعة كتب السيرة النبوية.)

بسم الله الرحمان الرحيم، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد بن عبد الله صلاة وسلاماً دائمين تامّين إلى يوم الدين وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد: كلما هل هلال شهر ربيع الأول تهيّأ المسلمون لإحياء الذكرى العطرة، ذكرى مولد رسول الله ﷺ هذه الذكرى التي تدعونا إلى التذكر والعبرة والرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله، وما أحوجنا إلى دراسة سيرة خير البرية وتدريسها لأبنائنا وبناتنا في وقت ابتعدنا فيه عن تعاليم القرآن وسنة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام. وبالمناسبة أدعو الشباب والطلبة على الخصوص إلى قراءة ومراجعة السيرة النبوية قراءة مركزة، فإنهم سيجدون فيها من العلوم ما ينفعهم في حياتهم الدراسية مثل علوم القرآن كأسباب النزول والتفسير وأسباب ورود الحديث الشريف وأشعاراً متنوعة وأخباراً مفيدة.. وأدباً خالصاً.

إن الحديث عن السيرة النبوية سيتطلب منا وقتاً طويلاً، لهذا سنكتفي ببعض اللمحات من حياة نبينا محمد ﷺ ونبدأ بذكر بعض المعجزات والكرامات التي سبقت مولده ﷺ نذكر منها أن العرب

كانوا على علم بقرب مولد نبي هذه الأمة الذي تحدثت عنه الكتب السماوية القديمة. لذلك نجد منهم من سمّى ابنه محمداً تيمناً أو طمعاً في أن يكون هذا النبي من صُلبه. وتشاء إرادة الله تعالى أن يكون من بني عبد المطلب. عبد المطلب هذا الذي رأى في منامه انه أُمر بحفر بئر زمزم. وأوريَ مكانها. إلاّ أن قريشاً خاصمته في ذلك ليكون لها شرف حفره. فيحتكمون إلى كاهنة بني سعد. وكانت بعيدة في الشام. فخرجوا مسافرين لأجل هذا الغرض. ولما توسطوا الطريق افتقدوا الماء حتى كادوا يهلكون. فتظهر المعجزة الأولى حيث تفجّر الماء من تحت خُفِّ راحلة عبد المطلب .فكبّر. وكبّر من معه فقالوا: قد قُضي لك علينا يا عبد المطلب فوالله لن نخاصمك في هذا الأمر أبداً ومن الأمور التي ذَكرتها كتب السير. أن عبد المطلب كان قد نذر إن وُلِد له عشرة نفر وعاشوا حتى يمنعونه لينحرنَ أحدهم لله فلمّا تمّ له نذره . دعا أبناءه وضرب بينهم الأقداح فخرج في أصغر أبنائه عبد الله. وكان أحبّ أبنائه إليه وكان يُحبه كل الناس. فأرادوا فداءه فالتجأوا إلى كاهنة حيث سألتهم عن مقدار فداء الرجل عندهم فقالوا عشراً من الإبل فقالت: ارجعوا فقرِّبوا عشراً من الإبل وقربوا صاحبكم. واضربوا الأقداح فإن خرجت في صاحبكم فزيدوا عليها من الإبل حتى يرضى ربكم. فإن خرجت في الإبل فاذبحوها. ففعلوا حتى وصلت مائة ناقة فنحروها وفدوا عبد الله. وهذا سرٌ من أسرار الله ليكون النبي محمد ﷺ من صلبه. مرّ عبد الله بن عبد المطلب يوماً على بني سعد وهو شابّ. فرأته امرأة كانت

من أجمل نساء قبيلتها, قيل اسمها فاطمة بنت مرة, فدعته لنفسها لمّا رأت على جبينه غُرّةً من النور عرفت أنها من نور النبوّة, دعته لنفسها , فرفض قائلاً:

أمّا الحرامُ فالحِمام دونـه والحِــلّ لا حِلّ فأستبينـــه

فكيف بالأمر الذي تبغينه يحمي الكريمُ عرضَه ودينهَ

يتزوّج عبد الله من آمنة بنت وهب من بني النجّار, ويحدث أن يلتقي بعد زواجه بالمرأة التي دعته لنفسها فقال: "مالك لا تعرضين عليّ ما كنتِ تعرضين عليّ بالأمس؟" قالت: "فارقك النور الذي كان معك".

تحمل آمنة بنت وهب بسيدنا محمد ﷺ, وقد رأت في منامها من قال لها: "إنك حملت بسيد هذه الأمة, فإذا وقع على الأرض فقولي: أُعيذهُ بالواحد من شرِ كل حاسد وسمِّيه محمداً" وقالت رضي الله عنها إنها رأت نوراً خرج منها أضاء الأرض شرقها وغربها.

مات عبد الله والد رسول الله ﷺ وآمنة حامل لستة أشهر ليولد عليه السلام يتيماً, وقد أشرقت به الأنوار يوم الاثنين من اثني عشر يوماً مضت من ربيع الأول عام الفيل. وفي تلك الليلة في يثرب أي المدينة المنورة خرج يهوديّ يصيح: يا معشر يهود لقد طلع اليوم نجم أحمد الذي ولد به.وهذا يدل على أن خبره كان عند اليهود قبل مولده ﷺ, كما يُستنتج أن رسول الله ﷺ بشر ولكن ليس ككل البشر, فهو نور: لقد كان نوراً في صُلب ابيه حيث ظهر كالغرة في جبينه,

وهو نور في رحم أمه حيث رات أنها خرج منها نور أضاء شرق الأرض وغربها. وهو نور حيث انقلب الليل نهاراً والنجوم اقماراً وسطع نوره يوم مولده حتى ظهر النجم في يثرب. واهتزّ إيوان كسرى وخمدت نار المجوس وهو الذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور.

يُخبر جدّه عبد المطلب بالبُشرى فيفرح فرحاً عظيما ويشكر الله الذي عوّضه عن ابنه بهذا الغلام الجميل فيأخذه بين يديه ويطوف بالكعبة وهو يحمله.ويزداد فرحه عندما يعلم أن هذا الابن قد وُلد مختوناً مصروراً أي مقطوع الصرة وانه نزل إلى الأرض مادّاً يديه إليها على شكل الركوع فعلم أن هذا الابن سيكون له شأن عظم .

من الكرامات التي يُمكن ذكرُها أن العرب كانوا يُرضعون ابناءهم عند مُرضعات يأتين من البادية لهذا الغرض. فجاءت المرضعات ولم ترض أي واحدة منهن على حمله لفقره ويُتمه. وكانت من بينهن امراة تُدعى حليمة السعدية جاءت على حمارة عجفاء لا تكاد تحملها. وبقيت آخر النساء فلم تجد من تحمله فأخذته. وهي التي تقول: "ما حملني على أخذه إلاّ انني لم أجد غيره". أخذته على حمارتها العجفاء التي كانت لا تكاد تحملها. فتلحق بركب النساء كالسهم فتتعجّبُ النساء للأمر. وتصل به إلى بيتها ويدخل معه الخير العميم. حتى مُعيزاتها العجاف اصبحت تدر من اللبن ما لا تدرّه اغنام غيرها. تغدو خماصاً وتروح بطاناً. ويتساءل الناس عن المرعى الذي ترعى فيه المعيزات ويصحبونها لكن أغنامهم تروح

كما غدت والمعيزات ترجع وقد امتلأت. امتلأ بيت حليمة بعد أن كان فارغاً, وأغناها الله من بعد فقرها.

كانت تُرضعه مع ابن لها, وكلما حاولت أن تعرض عليه ثديها الثاني رفضهُ, لوجود أخ له من الرضاعة. ونستنتج من هذا أنه كان عليه السلام مجبولاً على المشاركة كما نستنتج فطرته على العدل وعدم الاعتداء على حقوق الغير.

يترعرع ﷺ في بيت حليمة السعدية. وتقع حادثة شقِّ الصدر حيث رأى أخوه من الرضاعة أن رجلين جاءا محمداً ﷺ فشقّا صدره وأخرجا منه مُضغة سوداء, ثم طهّرا صدره بماء في إناء فقال أحدهما للآخر زنه بعشرة من أمته ثم بمائة ثم بألف فقال الثاني للأول والله لو وزنته بأمته لوزنها. والخبر موجود في كل كتب السيرة وكثير من كتب الحديث. يصل الخبر لحليمة, وتخاف على الغلام فتردّه مضطرّةً إلى جده ليعيش بين أحضانه.

تموت أمه وهو ابن ست سنين ليعيش يتيم الأبوين ـ ويروي القرطبي في تذكرته أن رسول الله ﷺ مرّ على قبر أمه وهو باك منغمّ فبكت عائشة رضي الله عنها لبكائه حيث قال لها استمسكي يا حُميراء, فاستندت إلى جنب بعير فمكث عند القبر طويلاً ثم عاد إلى عائشة رضي الله عنها وهو فرح مستبشر مبتسم, فقالت تسأله كيف نزل من عندها وهو باك حزين مغتم,ثم عاد إليها وهو فرح مبتهج. فأخبرها انه ذهب إلى قبر امه آمنة فسأل الله ان يُحييها فأحياها

فآمنت به ثم أرجعها الله عز وجل. (الحديث رواه القرطبي في تذكرته عن أبي بكر الخطيب في كتابه السابق واللاحق . انظر حاشية سيرة ابن هشام.155/1) نشأ رسول الله ﷺ يتيم الأبوين. في كفالة جده الذي ما لبث أن فارق الحياة. فيكفله عمه أبو طالب الذي احبه حباً عظيماً حيث كان لا يقدر ولا يصبر على مفارقته. وحدث أن اصطحبه معه يوما في تجارته وهو عليه السلام لا زال طفلاً. وفي طريقه إلى الشام يعترض للقافلة راهب لم يتعوّد على الكلام مع أحد إلاّ تلك المرّة حيث نزل من صومعته ودعا القوم صغيرهم وكبيرهم إلى طعام. والسر في ذلك أنه لاحظ أمراً غريباً في ذلك اليوم. لاحظ غمامة تُظِلّ أحدهم فأيقن أن الجماعة فيها من تحدثت به الكتب وأنه لا شكّ النبي المنتظر

لما جلس القوم للطعام تبين له أن صاحب الأمر غير موجود بينهم. فسأل: هل تركتم أحداً؟ قالوا لا. غير طفل تركناه عند متاعنا. فحرص على إحضاره. ولما جلس أخذ يسأل عنه فادعى أبو طالب أنه ابنه. فقال الراهب ما ينبغي أن يكون لهذا الغلام أب. فأخذ يسأل عن أحواله ويسأل الصبي عن أمور كثيرة. فلما تيقن منه قال لأبي طالب: ارجع بابن أخيك هذا فإنه سيكون له شأن كبير. ولإن شعرت به يهود ألحقت به الأذى.

لقد شبّ عليه السلام والله يكلؤه ويحفظه من أقذار الجاهلية. فكان أعظم وافضل قومه واحسنهم خُلقاً واكرمهم حسباً واحسنهم

جِواراً وأعظمهم حِلماً واصدقهم حديثاً وابعدهم عن الفُحش وأعظمهم أمانة. فما كان اسمه في قومه إلاّ الأمين.

وكان أول نداء له من السماء، يوم كان في الخامسة عشرة من عمره حين كان يجمع الحجارة مع رِفاقه فجعل إزاره فوق رقبته فجاءته لكمة لم يعرف مصدرها حتى أسقطته. ولما سقط ضمه عمّه العباس إليه فلمّا استفاق قال لعمه: إنه نودي من السماء أن اشدد عليك إزارك يا محمد. (انظر الخبر في الروض الأنوف 1 /208).

اليهود تعلم ببعثة النبي محمد ﷺ

عن قتادة أن رجالاً من قومه كانوا يتحدثون عن سبب إسلامهم فقالوا: لقد هدانا الله لِما كُنّا نسمع من رجال يهود وكنّا أهل شِرك وأصحاب أوثان. وكانوا أهل كتاب وعندهم علم ما ليس عندنا. وكانت بيننا وبينهم شُرورٌ فإذا نِلنا منهم قالوا: "إنه تقارب زمان نبيّ يُبعثُ الآن نقاتلكم معه قتال عاد وثمود". فلما بُعِثَ رسول الله ﷺ ودعانا إلى الله عرفنا ما كانوا يتوعّدوننا فبادرناهم إليه فآمنّا وكفروا. وفيهم أنزل الله قوله: **﴿ولمّا جاءهم كتاب من عند الله مصدّقاً لما معهم وكانوا من قبلُ يستفتحون على الذين كفروا فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾**

ويروي أحد الصحابة وهو سلمة بن الوقش أن يهودياً كان جاراً لهم. وكان كثيراً ما يحدثهم عن الجنة والنار. وعن النبيّ المنتظر. وكان يشير إلى جهة مكة المكرمة ويقول: "إنه سيبعث من

هذه الجهة". فلمّا بُعِث رسول الله ﷺ آمنا به، وكفر هو به بغياً وحسداً. فقلنا له: ويحك يا فلان ألست أنت الذي قلت لنا فيه ما قلت؟ قال بلى ولكن ليس به.

وفي كتب السيرة حديث عن سبب إسلام فتية من يهود، مفاده انه كان فيهم رجل صالح ظهرت له الكرامات، ولما حضرته الوفاة جمع الناس وقال: "يا معشر يهود، أتعرفون ما أخرجني من أرض الخمر والخمير؟ قالوا إنك أعلم.قال: إنما قدمت هذه البلدة أتوكف خروج نبيّ قد أطلّ زمانه، وهذه البلدة مُهاجره . فكنت أرجو أن يُبعث فأتبعهُ وقد أظلكم زمانه فلا تُسبَقُنّ إليه يا معشر يهود" . فلما بُعِث رسول الله ﷺ وحاصر بني قريظة قال هؤلاء الفتية وكانوا شباباً: يا بني قريظة . والله إنه النبي الذي كان عهد إليكم ابن الهَيّبان. قالوا: ليس به. قال الفتية بلى والله إنه هو بصفته .فنزلوا وآمنوا به، وأسلموا. وفيهم نزل قول الله: ﴿ومن أهل الكتاب أمة قائمة...﴾ الآية.

ومن أخبار اليهود أيضاً الخبر الذي أوردناه سابقاً عند الحديث عن ليلة مولد رسول الله ﷺ حيث قام اليهودي يصيح بيثرب يا معشر يهود لقد برز نجم محمد...

بعثة سيدنا محمد ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين الذي امتدحه الله رب العالمين في كتابه المبين وقال: ﴿نٓ والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وإنك لعلى خُلق عظيم﴾. وبعد لقد سبق الحديث عن أخلاق رسول الله ﷺ حتى إن قومه كانوا لا يُنادونه إلاّ بالأمين. مما دفع خديجة بنت خُويلد إلى ائتمانه على تجارتها، فلما رأت من صدقه ووفائه رغبت فيه وقالت: "يا ابن عم، إني لأرغب فيك لقرابتك وعدلك وأمانتك، وحُسن خُلقك". فقبل ﷺ وتزوجها على عُرف أهله، وجعل صداقها عشرين ناقة. فكان الزوج المثالي الوفي.

كان ﷺ يُحبّ الخُلوة بنفسه، وكان يتحنث بغار حِراء كل سنة شهراً، حتى جاء اليوم الذي فتح الله فيه عليه. وكان في شهر رمضان. فبدأ نزول الوحي، حيث جاءه جبريل ففزِعَ منه رسول الله ﷺ لأنه يراه لأول مرة واشتد خوفه منه ومن الكلام الذي قاله له. حيث ضمه إليه فقال له اقرأ فقال ما أنا بقارئ وأعاد الكرة ثانيا وثالثاً ثم قال اقرأ بسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق ... وكانت أول سورة نزلت من القرآن الكريم. ولنا حديث في الموضوع في حلقة أخرى إن شاء الله .

رجع رسول الله ﷺ إلى بيته حيث خديجة زوجته وهو يقول: زملوني دثروني. ويرتعش من الخوف والحمى لقوة الوحي عليه. تعلم خديجة رضي الله عنها بحاله. وتخشى عليه من الجن فتسرع إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وتُخبره بما حدث لزوجها ويقول:لئن كان هذا حقاً يا خديجة إن محمداً لنبي هذه الأمة .

وعن كيفية نزول الوحي وشدته عليه ﷺ تحدثنا أمنا عائشة رضي الله عنها فتقول: "كان أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من النبوة حين أراد الله كرامته ورحمة عِباده: الرؤيا الصادقة. لا يرى رؤيا في نومه إلاّ جاءت كفلق الصبح.. قالت: وحبب الله تعالى إليه الخُلوة فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده". ويروي ابن إسحاق في كتاب السيرة أنه كان ﷺ إذا خرج أبعد حتى تحسّر عن البيوت وكان لا يمُرّ بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله. فيلتفت عليه الصلاة والسلام ولا يجد إلاّ الحجر والشجر فمكث على ذلك الحال مدة من الزمن حتى نزل جبريل وهو بغار حراء. والشاهد هنا هو أنه كان يُنادى باسم رسول الله قبل أن يبدأ الوحي بالنزول. ويُؤكد هذا القول ما رواه الترمذي في مصنفه عن رسول الله ﷺ انه قال إني لأعرف حجراً بمكة كان يُسلم علي قبل نزول الوحي.

ويحدثنا رسول الله ﷺ عن بداية نزول الوحي حيث قال:جاءني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج. فقال لي "اقرأ فقلت. ما أقرأ" واختلف الشراح لهذا الحديث في معنى قوله "ما أقرأ" فقيل إن (ما)

هنا استفهامية أي بمعنى، ماذا أقرأ؟ وفي رواية البخاري ومسلم نجد (ما) تعني النفي أي بمعنى ما أحسنُ أن أقرأ- وفي رواية قال: ما أنا بقارئ، أي إني أُمّي لا أقرأ ولا أكتب.

وقوله: اقرأ بسم ربِّك. قيل إن معناها: لا تقرؤه بحولك ولا بصفة نفسك، ولا بمعرفتك ولكن اقرأ مفتتحاً بسم ربك مستعيناً به فهو يعلم كما خلقك.

ويقول ﷺ: "فقرأتها فكأنما كُتبت في قلبي كتاباً فانصرف عنّي، قال فخرجت حتى إذا كنت في وسط الجبل سمعت صوتاً يقول: يا محمد أنت رسول الله، وأنا جبريل، قال فرفعت رأسي في السماء انظر فإذا جبريل في أفق السماء، قال فوقفت أنظر إليه وهو يقول، أنت رسول الله وأنا جبريل، وحينما ولّيت وجهي وجدته أمامي، فما زلت واقفاً لا أتقدم ولا أتأخّر حتى بعثت خديجة في طلبي، فوجدوني واقفاً حين ذهب عنّي". ويخبرنا ﷺ أنه رأى جبريل عليه السلام على صفته الحقيقية، رآه ناشراً أجنحته الستمائة، جبريل كانت له ستمائة جناح، رآه رسول الله ﷺ مرتان على هيئته، الأولى في بداية نزول الوحي، والثانية يوم أعرج به إلى السماء . ويؤكد هذا القرآن الكريم في سورة النجم حيث يقول الله تعالى: ﴿ والنجم إذا هوى، ما ضلّ صاحبكم وما غوى، وما ينطق عن الهوى... ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى... ﴾

يخبر رسول الله ﷺ زوجته خديجة فتقول: "ابشر يا ابن عم فوالذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة". وتسرع لابن عمها ورقة بن نوفل فتخبره الخبر فيصيح: "قدّوس، قدوس، والذي نفس ورقة بيده لقد جاء الناموس الذي كان ياتي موسى". فتتاكد خديجة من هذا فتجعله على فخذها الأيمن وتقول له هل ما زلت تراه، وكان ذلك ساعة نزول جبريل ثانية عليه فيقول: نعم، ثم تحوله إلى فخذها الأيسر وتسأله هل ما زلت تراه؟ فيُجيب نعم، ثم تجعله وسط حجرها وتسأله أما زلت تراه؟ فيقول نعم ثم تكشف عن شعرها فيختفي جبريل وتقول والله إنه ملك وما هو بشيطان.

بداية الدعوة

بعد نزول الآيات الأولى من القرآن (العلق المزمل وما بعدهما) بدأ جبريل عليه السلام يُعلم رسول الله ﷺ أمور الدين من وضوء وصلاة باعتبار الصلاة عماد الدين، ثم يشرع عليه السلام في دعوة الناس إلى اعتناق دين الإسلام، فكان أول من أسلم وصدّق من الذكور الشباب هو علي بن طالب كرم الله وجهه ومن النساء خديجة زوج رسول الله ﷺ، ثم زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ثم أبو بكر الصديق وكان أول الدعاة حيث دعا عثمان بن عفان والزبير بن العوام، وعبد الرحمان بن عوف، وسعد بن ابي وقّاص، وطلحة، وابا عبيد بن الجراّح، وابا سلمة والأرقم بن ابي، وبدأ كل واحد يدعو من لقيه. ومن النساء أسلمت عائشة وأسماء بنت أبي بكر ثم توالى إسلام

الرجال مع نسائهم وكانت الدعوة في هذه المرحلة سرّية واستمرت ثلاث سنين امتثالاً لأمر الله تعالى لرسوله الكريم: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقل إني أنا النذير المبين﴾. ومع انتهاء هذه المدة يامر الله نبيه بالجهر بالدعوة فيقول: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾ اي فرق بين الحق والباطل. وكان هذا الجهر سبباً في إشعال نار الحِقد والحسد لرسول الله ﷺ وكان اشد الناس عداوة له قومه. واقرب الناس إليه وعلى رأسهم أبو لهب عم رسول الله ﷺ فلم يجد سَنَداً إلاّ من زوجته خديجة وعمّه أبي طالب الذي كان يرُدّ عليه الأعـداء بالقول الجميل. فلما رأوا من أبي طالب ذلك اجتمع أعيان الكُفر آنذاك وهم من أشراف قريش، فقصدوا أبا طالب فقالوا: "إن ابن أخيك سبّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفّه أحلامنا، وظلل آباءنا. فإما تكُفّه عنّا. وإما أن تخلي بيننا وبينه". لكن أبا طالب بحكمته ردّهم بالقول الطيب كعادته، ثم تمضي أيام قلائل فيعودون فيذكرون له منزلته عندهم ويدعونه إلى تسليم ابن أخيه لهم. ثم عادوا مرات كثيرة وأخذوا يُساومونه في رسول الله ﷺ وكان دائماً يدفعهم عنه.

ومن أشد أعداء رسول الله، الوليد بن المغيرة الذي أشار على قومه بالتجنّد لردّ الرسول والابتعاد عن دعوته، وردّ كل من حاول اتباعه. فاختلفوا في التهمة التي يُلصقونها بمحمد ﷺ فقالوا كاهن، وقالوا شاعر، وقالوا مجنون. ولما كان كلامه أفصح من كلام العرب لأنه من رب العالمين قال: كل هذا مردود لأن في كلامه

حلاوة، وإن أصله لغدق، وإن فرعه لجناة. ويقترح أن يُلحق به عليه السلام تهمة ساحر لأنه حسب زعمه يفرق بين الرجل وابنه والزوج وزوجته والمرء وأخيه فانزل الله في حقه: ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالاً ممدوداً وبنين شهوداً ومهّدت له تمهيداً ثم يطمع أن أزيد كلاّ إنه كان لآياتنا عنيداًسأرهقه صعوداً، إنه فكّر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلاّ سحر يؤثر إن هذا إلاّ قول البشر... ﴾

ويلقى رسول الله ﷺ من الأذى ما لم يلقه بشر. فكان يلقى من السب والشتم والرمي بالقاذورات والحجارة وكل أنواع الإهانة. وكل ذلك لم يُثن رسول الله ﷺ على تبليغ ما أمره الله به. فكان يتعرّض لقوافل التجار ويعرض عليهم الإسلام ويبيِّنه لهم كما سعى إلى المؤاخاة بين المسلمين في مكة وجعل أساس هذه الأخوة الإسلام. وزادت عداوة قومه له ضراوة فخرج إلى الطائف لعله يجد من يُناصره ويشُدّ أزره. فيسلط عليه الأطفال فيضربونه حتى تدمى قدماه الشريفتان. وكان لا بد من الهجرة بناء على بيعة العقبة. واستجابة لأمر الله تعالى الذي اقتضت حِكمته ضرورة التضحية بالمال والأرض في سبيل العقيدة. يهاجر ﷺ من مكة إلى المدينة المنورة. ويُستقبل بحفاوة لا نظير لها في التاريخ. ويبدأ بأول عمل. هو بناء المسجد ليضمن مكان اجتماع المسلمين ومكان صُنع القرار. ثم يدعو إلى المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار. فقال عليه السلام: تآخوا في الله أخوين أخوين. وكان هدفه من ذلك ليُذهب عن المهاجرين وحشة الغُربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ويشُدّ

بعضهم أزر بعض. فعمل على غرس قيم الإسلام في نفوس أصحابه وتنمية الروح الاجتماعية حتى نما بينهم روح التوارث حتى لا يبقى ذلك التآخي مجرّد شعار بل حقيقة عملية. واستمرّ ذلك حتى ذهبت الوحشة واجتمع الشمل. حينذاك أنزل الله تعالى: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ ومن باب التكافل الاجتماعي أن الأنصاري كان يجمع نساءه فيأتي بالمهاجر فيُخيّره فيهن. فإن وقعت نفسه على إحداهن طلّقها الأنصاري فتعتدّ حتى تحلّ للمهاجر فيتزوجها على شرع الله. ويهيئ الرجل الطعام لأهله فإذا طرق بابه مهاجر. أعطاه له وترك نفسه وعياله. حتى امتدحهم الله من فوق سبع سماوات فقال: ﴿والذين تبوّؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شُح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ (الآية 9 من سورة الحشر.)

نستخلص من هذا عدة أمور نذكر منها:

_ استجابة المؤمنين السريعة لأوامر رسول الله ﷺ.

_ التكافل الاجتماعي في أرقى صوره.

- تطابق أوامر رسول الله ﷺ للوحي بدليل القرآن.

- الهجرة لله ولرسوله.

- وجوب الدعوة والتحمل من أجلها.

نسأل الله العليم. رب العرش العظيم أن يجعلنا من الدعاة إليه وأن يثبت قلوبنا على محبته ومحبة رسوله الصادق الأمين والحمد لله رب العالمين.

وإنك لعلى خلق عظيم

بسم الله الرحمان الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد عليه أطيب الصلاة وأزكى التسليم وبعد: سبق الحديث عن أخلاق رسول الله ﷺ صغيراً وشاباً، ولاحظنا انه عليه السلام قد شبّ والله يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية، لِما يُريد من كرامته ورسالته، حتى إنه كان رجلاً أفضل قومه مروءة، واحسنهم خُلقاً، واكرمهم حسباً واحسنهم جِواراً، واعظمهم حلماً، واصدقهم حديثاً، واعظمهم امانة، وابعدهم عن الفُحش والأخلاق التي تدنّي الرجال، تنزهاً وتكرّماً.

وحدّث رسول الله ﷺ عن نفسه يوم كان شاباً، حيث إنه اراد يوماً أن يحضُر مجلساً للشباب حيث المرح، فترك اغنامه عند احد أصدقائه، ولما وصل الحفل جلس جانباً فسلّط الله عليه نُعاساً لم يعبأ منه إلاّ والجمع قد تفرّق فلم يحضر منه شيئا، وكان ذلك حفظاً من الله له.

سُئلت عائشة رضي الله عنها عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن وهذا الحديث منشور في كثير من كتب السنة . ونجد عائشة رضي الله عنها في هذا الحديث قد أحالت السائل على القرآن الكريم لأنه تأدّب بتوجيهاته، وتخلّق بتعاليمه، وامتثل لأوامره، واجتنب نواهيه. لأنها لو أرادت أن تذكر كلّ أخلاق رسول الله ﷺ

وصفاته بالتفصيل لما استطاعت الإحاطة بها وإحصاءها. وهذا لا يعني أنه أخذ أخلاقه من القرآن . أي أن أخلاقه الفاضلة كانت بعد البعثة. وإنما كان ﷺ مجبولاً على هذه الصفات في أصل خُلقه وأول فطرته. ولم تحصل له هذه الأخلاق بالاكتساب والرياضة .(انظر هذا الكلام مفصلاً في كتاب الشفاء للقاضي عياض ص 72)

مع هذا كله يمكن الحديث عن سيرته وأخلاقه من خلال بعض مراحل حياته ومعاشرته لأهله وأصحابه .

فمن أخلاقه مع أهله نعتمد أولاً حديث عائشة رضي الله عنها الذي روته عن رسول الله ﷺ حيث قال: "خيركم خيركم لأهله. وأنا خيركم لأهلي." (رواه الترمذي وابن ماجة) وهذا يدلّ على أن من المقاييس السامية حسن معاملة الرجل لأهله معاملة تحفظ لها كرامتها. فلم يُؤثر عنه ﷺ ان الحق بإحدى زوجاته أذىً بقولٍ ولا بفعلٍ. فلم يجرح كرامتهن قط. وتقول عائشة رضي الله عنها تتحدث عن معاملته لنسائه: "كان إذا خلا بنسائه ألين الناس. بسّاماً ضحّاكاً" (انظر هذا في طبقات ابن سعد 121/1)

يقول ابن القيم الجوزية: وكان يقسم بينهن في المبيت. والإيواء والنفقة وأما المحبة فكان يقول: "اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما لا أملك" وكانت سيرته مع ازواجه ﷺ حسن المعاشرة. وحسن الخلق..

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان لا يُفضل بعضنا على البعض في مُكثه عندهن في القسم". (المصدر السابق) ويتضح من هذا انه كان ﷺ يحرص على العدل بين زوجاته، رغم تفاوُتهنّ في السن والجمال، فكان لا يُسقط أي حقٍّ إلاّ بإذن صاحبته حتى إنه لمّا مرض استأذن نساءه في أن يُمرّض ببيت عائشة. فقد روى أبو داوود عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله ﷺ بَعث إلى نسائه فاجتمعن فقال: "إني لا استطيع أن ادور بينكن، فإن رايتن ان تأذنّ لي فأكون في بيت عائشة فعلتنّ " فأذِنّ له .

امّا عن أخلاقه ومعاملته ﷺ لأبنائه، فقد تمثّلت في الرحمة والرعاية والتربية على هدي الإسلام، فكان يلعب مع أبنائه ويتصابى لهم ويُجلسهم على ركبته ويُسوّي بينهم، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ ارحم الناس بالصبيان والعيال". وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "رايت الحسن والحسين على عاتقي النبي ﷺ فقلت: نعم الفرس تحتكما، فقال النبي ﷺ: ونعم الفارسان هما".

وعن معاملته لخدمه، نترك أنس بن مالك رضي الله عنه يتحدث فيقول: "خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أُفٍّ قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته، ولا لشيء تركته لم تركته؟" وتؤكد ذلك عائشة رضي الله عنها حين تقول: "ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً قط ولا امراة ولا ضرب بيده شيئاً إلاّ أن يُجاهد في

سبيل الله. ولا انتقم لنفسه من شيء يوتى إليه حتى تُنتهك حرمات الله. فيكون هو ينتقم لله.. أما مع أصحابه فقد اكتست أخلاقه ومعاملته لهم طابعاً خاصاً استمدّ أُصوله من امر الله تعالى﴿ خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين..﴾ فكان في أخذه بالعفو يصل من قطعه ويصفح عمن ظلمه. وفي أمره بالعُرف تقوى الله. وفي إعراضه عن الجاهلين تنزيه نفسه عن مماراة السفهاء. فكان عليه السلام يتفقد أصحابه كل حين. ويسأل عنهم ويدعو لغائبهم بالخير والسلامة وإذا اخطأ أصحابه لا يُوجّه إليهم اللوم وإنما يُشير كأن يقول: ما بال قوم أو ما بال الرجل..فلم ينصح أحداً في مجمع ولم يفضح أحداً مع غيره. وهكذا اتسمت حياته بالصبر. والحِلم والصفح عن المسيء فكان يُوجِّه أصحابه إلى ما فيه صالحهم بكل تواضع ويجلس بينهم حتى إنه كان لا يُعرف ولا يُميّز من أصحابه.

ما يستنتج من هذا الكلام أنه يجب التمثل برسول الله ﷺ كما أمرنا الله تعالى بذلك حين قال: ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً..﴾ ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم.﴾ نفعنا الله بالقرآن الكريم، وبسنة المصطفى سيد المرسلين وجعلنا ممن يسمعون القول فيتبعون أحسنه آمين والحمد لله رب العالمين.

أفنجعل المسلمين كالمجرمين

(هذا الدرس قدمته لما لاحظت من تهافت الشباب على حب المغامرة من اجل الوصول إلى ارض اوروبا. وقد فقدت الأمة كثيراً من خيرة شبابها الذين القوا بأنفسهم في البحر)

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. وأصلي وأسلم على صفوة الأنبياء والمرسلين قدوة الأصفياء وسيد الأتقياء. وإمام الدعاة الرسول الخاتم سيدنا محمد بن عبد الله الذي أدى الأمانة وبلغ الرسالة. وجاهد في الله حتى أتاه اليقين. وبعد: يقول الله تعالى:﴿ **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين**﴾ (يوسف 108)

لقد لاحظنا هذه الأيام مَيلَ الشباب إلى الغرب وبدأوا يتطلعون إلى قطع البحار ليعيشوا حالهم. فخاطروا بأنفسهم فمنهم من قضى نحبه في ظلمات البحار. ومنهم من لا يزال يحلم بالمجتمع الذي يظنه راقياً. مجتمعاً تتجسد فيه المثالية حيث الحرّية والحقوق والنعيم.. حتى أصبح الكثير يضربه مثلاً ويُفضّله على مجتمعه المسلم. إلاّ أنه شتّان بين هذا المجتمع وذلك. شتان بين مجتمع الإيمان ومجتمع الكفر والفرق بينهما هو الذي بين الحق والباطل وبين الطيب والخبيث.

ذلك مجتمعٌ لا يقوم على أمر حكيم ولا يسير إلى الله على طريقه المستقيم. فمجتمعنا يؤمن بالله ربّاً والهاً ويعبده كما أمر إلاّ

من تعثّر وانحرف عن الاستقامة.فشتّان أخي المؤمن بين من يؤمن ومن لا يؤمن، وبين من يؤمن ويخطئ . وبين من يكفر وينحرف، وبين من يخطئ ويستغفر . وبين من يُخطئ ولا يستغفر.

إن مجتمع الكفر لا يبتغي الحق ولا يسعى إليه كما تعتقد ايها الشاب مجتمع الكفر ينطلق من الدنيا وينتهي إليها. مجتمع الكفر غالب أفراده مذنبون لا يعرفون للتوبة طريقاً. فكيف تتجرأ وتجعله أفضل من المجتمع المسلم، وقد ذهب البعض من شدة حُبه له وتعلقه به إلى تفضيله .وجواب ذلك في قول الله تعالى **﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين، ما لكم كيف تحكمون﴾** (سورة القلم آية 36.35)

حقاً أخي المومن إنهم لا يستوون مثلاً، إنهم يفسدون في الأرض ولا يُصلحون، يدعون إلى النار . قال تعلى:**﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمُفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفُجّار...﴾** (سورة ص 28) نقول إنهم لا يستوون عند الله **﴿وما يستوي الأعمى والبصير، ولا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات ، ولا المسيء قليلاً ما تذكّرون...﴾** (غافر 58).

أخي المؤمن، إن افترضنا أن إحسان الكفار في أمور الدنيا يغلب إحسان المسلمين، فلا يجوز أن يُسوّى بإحسان المسلمين انظر إلى قول الله تعالى:**﴿ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله، والله لا يهدي القوم الظالمين، الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون...﴾** (التوبة 19 و20) إن هؤلاء ظهر إحسانهم في

عمارة المسجد الحرام، وما أدراك ما المسجد الحرام، الحسنة فيه بمائة الف، وزيادة على عمارته فهم يسقون الحجيج، لكنهم على غير دين الإسلام فرغم كل هذا العمل فهم لا يستوون عند الله مع المؤمنين المسلمين.

نتفق جميعاً على أن المجتمعات يُحكم لها أو عليها بالصلاح أو الفساد، بالخير أو بالشر لغلبة أحدهما على الآخر. وليس بانعدامه وانفراده، بمعنى أوضح أن الحكم يُناط دائماً بالغالب، فإن كان مجتمع الكفر تظهر عليه بعض المحاسن، فإن المفاسد أعم والدليل على ذلك ما نراه من تفرّق أُسرهم وتشتيت جُموعهم، فالولد أو البنت بمجرّد أن يبلغ أشُدّه يفرّ من أبويه كما يفر الطائر من عُشّه. إن مجتمعنا يسوده التكامل والتعاطُف والتراحم، ولو أن أهل الغرب آمنوا لوجدوا في الإيمان ما يجمع شملهم ويُوحِّد بين أسرهم. يقول الله تعالى:﴿ولو ءامن أهل الكتاب لكان خيراً لهم﴾. صدق أخي المؤمن أن إحدى الفرنسيات منّ الله عليها بالإسلام فاستضفناها، فلمّا رأت الأسرة مجتمعة حول المائدة، وكل يذهب إلى عمله وفي المساء يجتمع الكل تحت سقف واحد أخذت تبكي وتتأسف على حياة الأوروبيين حيث لا يعرف الابن أباه ولا يعلم الأب أين وكيف يعيش ابنه.

إن المجتمع الإسلامي مجتمع يضُمّ بين أفراده الصالح وغير الصالح، تجد فيه التّقيّ الورع، وتجد ضعيف الإيمان الكثير الذنب، وتجد الذي يخلط بين العمل الصالح والعمل المسيء. فالغلو في حبّ

تلك المجتمعات خطأ فادح، لأنك لو اطلعت على تلك المجتمعات لوليت منها فراراً طالباً الهدوء في أرضك ووطنك حيث راحة البال والاطمئنان. فإن كنت تُحبهم فأنت مُخطئ لأنهم لا يحبونك قال تعالى:﴿ ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبّونكم ...﴾. فإن لاحظت احتضانهم لشبابنا فإن ذلك من أجل مصلحتهم لا من أجل مصلحة من هاجر إليهم ذلك أنهم يستعبدونهم، ويحتقرونهم بل يعاملونهم معاملة الحيوان، فقد يرفقون بالحيوان ويعطفون عليه ولا يرفقون بأبنائنا. لقد حكى لنا من رمت به الأقدار إلى تلك الديار ما يدعو إلى الشفقة على إخواننا فقد حدّثني أحدهم أن المشغّل الأوروبّي يُعير المشتغل عنده كما يعير البغل أو الحمار، وليس للعامل الحق في الدفاع عن نفسه وإلاّ طرده، وحدثنا غيره عمّا يُلاقونه من العُنصرية والاحتقار حتى إن الغربي لا يجلس بجانب العربي المسلم، وإن وقف بجانبه اضطراراً كأن يقف معه في الحافلة أو القطار غطّى أنفه، كأنما يقف أمام شيء قذر، أين كرامة المؤمن الطاهر الذي يغتسل كل حين ويتوضّأ خمس مرّات في اليوم للصلاة.

كيف تترك أرضك أرض العزّ وتسعى إلى أرض الذلّ والهوان؟ لا تنخدع بمن يأتي مرّة في السنة من أجل العطلة فإن أكثرهم يكتم الحقيقة، ولا يستطيع أن يبوح بما يعانيه، فتراه يخدع نفسه ويحاول أن يخدع الناس. نسأل الله تعالى أن يحفظنا في أوطاننا وأن يكون وليّاً للمؤمنين، وأن يحبب إلينا الإيمان ويُزيّنه في قلوبنا آمين والحمد لله رب العالمين.

فضل الاستغفار

بسم الله الرحمن الرحيم، أحمده تعالى واستغفره واتوب إليه، واصلّي وأسلم على سيد المستغفرين، وإمام المرسلين، وبعد، يقول تعالى: ﴿واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشيّ والإبكار..﴾ ويقول ايضاً: ﴿ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون..﴾ ويقول عز وجل:﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله واستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلاّ الله ولم يُصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾ ويقول الله تعالى:﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً..﴾ ويقول في سورة نوح:﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفّاراً...﴾

إن آيات الاستغفار كثيرة معروفة، ويحصل التنبيه ببعض ما ذكرناه من منّة الله على أُمة سيدنا محمد ﷺ إمهالهُ للمذنبين ومرتكبي الكبائر والصغائر حتى يعودوا إليه فيتوبوا ويستغفروا وهو القائل: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم..﴾ ويقول لُطفاً بعباده: ﴿أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم..﴾ (المائدة 73) ويقول عز وجل:﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى..﴾ (طه 82).

هذا كرم من الله لعباده ومن رحمته انه تاب على عباده ليتوبوا حتى لا يستحقوا العقاب الأشق الذي لا يُطيقونه، قال تعالى: ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التوّاب الرحيم..﴾ (التوبة 118)

عن ابي بكر رضي الله عنه قال. قال رسول الله ﷺ: "ما اصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة". الحديث رواه ابو داوود والترمذي.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "إنا كنا نعُدّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة قبل أن يقوم: "ربّ اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التوّاب الغفور" هذا رسول الله ﷺ الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يُكثر من الاستغفار ولا يَفتُر لسانه عنه لأنه يعلم أن الاستغفار هو وسيلة النجاة. يروي عبد الله بن يسر رضي الله عنه قال: قال رسول اله ﷺ "طوبى لمن وُجد في صحيفته استغفار كثير".

عن ابي بكر رضي الله عنه قال:سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من عبد يُذنب ذنباً فيُحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله إلاّ غفر الله له. ثم قرا قول الله: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله واستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلاّ الله﴾ "

وعن عبد الله بن عبّاس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من لزم الاستغفار جعل الله له من كل همٍّ فرجاً, ومن كل ضيق مخرجاً, ورزقه الله من حيث لا يحتسب." وسيد الاستغفار هو قولك: "اللهم انت ربّي لا إله إلاّ أنت خلقتني وانا عبدك,وعلى عهدك ما استطعت, أعوذ بك من شرّ ما صنعت, أبوء بنعمتك عليّ وابوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت".

نعيش هذه السنة ضائقة لا تخفى على أحد, وتتمثل في ظاهرة الجفاف, وقد ظهر الضيق والأسى على وجوه عموم الناس, لكن, هل

تساءل أحد عن سبب توقف القطر؟ أليس السبب هو كثرة ذنوبنا؟ وغفلتنا عن الاستغفار؟ ألم نكن قد نسينا الله فنسينا من رحمته؟ هذه تساؤلات نطرحها ويمكن أن نطرح غيرها. فلو أننا استقمنا وعُدنا إلى ربّنا لسقانا الله من خزائنه يقول الله تعلى: ﴿ ...وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا...﴾ ومعنى الآية أن الناس عصوا فحبس الله عنهم القطر ووعدهم، إن آمنوا رزقهم الله القطر. والخصب ودفع عنهم ما كانوا فيه. ويقول الله تعالى: ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء....﴾ لقد استفدنا من الأمم السابقة كما ورد في القرآن الكريم أن الاستغفار هو مفتاح أبواب السماء. قال الله تعالى في سورة نوح:﴿ فقلت استغفروا ربّكم إنه كان غفّاراو يُرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا...﴾

يُروى أن عمر بن الخطاب خرج يوماً يستسقي فما زاد على الاستغفار. فقيل له ما رأيناك استسقيت. فقال: "لقد استسقيت بمجامع السماء التي يستنزل بها القطر" فشبه الاستغفار بالأنواء الصادقة التي لا تخطئ. وعن الحسين أن رجلا شكا إليه الجدَب فقال له استغفر الله. وشكا إليه آخر الفقر. وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع الأرض فأمرهم كلهم بالاستغفار. وتلا :﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات ...﴾ نسأل الله أن يغفر لنا ذنوبنا ويكفر سيئاتنا اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفّارا فأرسل السماء علينا مدرارا.والحمد لله رب العالمين

حقوق الزوج على الزوجة

بمناسبة اليوم العالمي للمرأة يكثر الحديث عن حقوق المرأة وفيه من المبالغات ما يجعل الرجل يتساءل. أليس للرجل حقوق على الزوجة؟ فما هي هذه الحقوق؟ وكيف فصلها الشرع حتى نضع حداً للتجاوزات . وكان هذا هو سبب إلقاء هذا الدرس.

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ،سيدنا محمد بن عبد الله الصادق الأمين خير الناس لأهله. ورضي الله على أمهات المومنين ،الطاهرات المتّقيات لله رب العالمين وبعد. روى الإمام أحمد في مسنده عن حُصين بن مِحصن رضي الله عنه. أن عمّة له أتت رسول الله ﷺ فقال لها: "أذات زوج أنت؟ قالت نعم. قال فأين أنت منه؟ قالت ما آلوه إلاّ ما عجزت عنه.- أي لا أقصّر عن شيء أقدر عليه إلاّ إذا عجزت عن فعله- قال: فكيف أنت له فإنه جنتك ونارك." (أنظر كتاب الترغيب والترهيب 52/3) والمعنى انظري على أي حال تمشين معه. فإنه سبب دخولك الجنة أو النار.

ويروي الترمذي وابن ماجة حديثاً آخر. عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: "أيما امرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة". انظر سنن ابن ماجة رقم الحديث 1859. ومعنى الحديث أن المرأة تكسب رضى ربها بطاعة زوجها. وقد افتتحت هذا الدرس بهذين الحديثين ليكون موضوع هذه الحلقة حقوق الزوج على الزوجة.لأننا طالما سمعنا ونسمع عن حقوق الزوجة على الزوج وكأن الشرع غفل هذا الجانب. لكن النصوص في هذا الباب كثيرة

نتحدث بحول الله على جوانب منها، وأول هذه الحقوق: الطاعة، ذلك أن المرأة إذا أطاعت زوجها وحفظت قدره دون أن تتعالى عليه فإنها بذلك تكون قد حققت لنفسها السعادة في الدنيا والآخرة. ففي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: "إن المرأة إذا صلت خمسها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها دخلت من أي أبواب الجنة شاءت". وفي رواية: -قيل لها ادخلي من أي أبواب الجنة شئت- (انظر الترغيب والترهيب، ص3/52).

لقد عدّ رسول الله ﷺ طاعة الزوج باباً من أبواب الجهاد كما ورد في حديث وفد النساء إلى رسول الله ﷺ الذي رواه الطبراني والبزار وصاحب الترغيب والترهيب. ويروي ابن ماجة في سننه حديث رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه لما انحنى أمام رسول الله ﷺ لتحيته، فقال له ﷺ: "لا تفعل فإني لو كنت آمر أحداً ليسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفس محمد بيده لا تؤدّي المرأة حقّ ربّها حتى تؤدي حقّ زوجها." (سنن ابن ماجة1/342) فما أعظم حق الزوج على الزوجة، وإيذاء الزوجة لزوجها من الكبائر، فكلما آذت المرأة زوجها نادتها زوجته من حور العين "لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو دخيل_ أي ضيف عندك يوشك أن يفارقك إلينا" (الترغيب والترهيب 3/58)

ومن حقوق الزوج على زوجته، المحافظة على ماله وعرضه، وعدم السماح لأحد بدخول منزله، إلاّ بإذنه قال رسول الله ﷺ: "ألا

أخبركم بما يكنز الرجل؟ المراة الصالحة. إذا نظر إليها سرّته. وإذا أمرها أطاعته. وإذا غاب عنها حفظته في ماله ونفسها." رواه أبو داوود في كتاب الزكاة.

ونلاحظ اليوم المراة إذا قرع الرجل بابها أسرعت لفتحه على مصراعيه وحيّته وكأنه محرم لها. وربما ادخلته بيت زوجها ظنّاً منها أن ذلك من الآداب والأخلاق وما ذلك إلاّ مخالفة واضحة للشرع. فلا يجوز للمراة أن تأذن في بيت زوجها إلاّ بإذنه. كما لا يجوز لها أن تصوم التطوع إلاّ بإذنه لقوله ﷺ: "لا يحلّ للمراة أن تصوم وزوجها شاهد_ اي حاضر_ إلاّ بإذنه ولا تأذن في بيته إلاّ بإذنه." (انظر فتح الباري 259/ 9) _ ويدلّ هذا الحديث على امرين. أولهما أن حق الزوج واجب على الفور. ولا يُفوّت عليه بالتطوع. والثاني انه لا يجوز للمراة أن تُدخل أيّ شخص لبيت زوجها حتى ولو كان من أقاربه غير المحرّمين. اقاربها أيضاً أي إلاّ إذا كان من المحارم الذين يحرم زواجها بهم كالأخ والأب والعم _).

ومن حقوق الزوج على الزوجة ان تقوم بكل أعمال البيت حسب استطاعتها لأنها هي المسؤولة على نظامه و ترتيبه.

وفي حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: "كانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ عندي وإنها حرت بالرحى حتى اثرت في يدها واستقت القربة حتى اثّرت في نحرها. وكنست البيت حتى اغبرّت ثيابها. فأتى النبي بخدم فقلت لها . لو اتيت اباك فسألته خادماً.

فأتته ولم تقدر على مُفاتحته، لأنه كان مشغولاً بحديث الناس فعاد إليها من الغد فسألها عن حاجتها فاستحيت من رسول الله ﷺ، فأخبرته بسبب مجيئها، فقال ﷺ: اتق الله يا فاطمة، أدّي فرض ربك واعملي عمل أهلك وإذا أخذت مضجعك فسبحي ثلاثاً وثلاثين، واحمدي ثلاثاً وثلاثين وكبري أربعاً وثلاثين فتلك مائة، فهي خير لك من خادم. قالت رضيت عن الله وعن رسوله". (رواه البخاري والترمذي وابو داوود، انظر جامع الأصول6/5.1)

ومن حقّ الزوج على الزوجة القرار في البيت وعدم الخروج إلاّ لضرورة قال الله تعالى:﴿ **وقرن في بيوتكن ولا تبرّجن تبرُّج الجاهلية الأولى ...**﴾ (الأحزاب 33)

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: الْزَمْنَ بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة، ومن الحوائج الشرعية الصلاة في المسجد بشرط عدم التطيب والزينة لقوله ﷺ: لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، وليخرجن وهن تفلات أي غير متزينات ولا متطيبات وقد ورد في الحديث أن المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان وأقرب ما تكون بروْح ربها -رحمته ورضوانه- وهي في قعر بيتها.

إن المراد بالقرار في البيت ألاّ تخرج المرأة للتسكع في الشوارع والطواف في الأسواق، كما نلاحظ في ايامنا هذه حيث أصبحت المرأة تقوم مقام الرجل، بل يجلس الرجل يرتشف السجائر ويتحسّى القهوة ويجادل في حقوق المرأة وزوجته تتزاحم مع

الرجال في الأسواق حتى إن بعض الممرّات أصبحت حراماً على الرجال المتقين لكثرة النساء المتبرجات, والتصاق الأجساد ببعضها في كثير من الأحيان. عارٌ على المرأة الحرة المسلمة أن تترك أو تسمح للرجل أن يلمس جسدها, عار علينا أن نرى هذا الموج من النساء في أسواقنا وكأن الرجال قضوا.عار على المرأة أن تقول لجارتها أو لابنتها هيّا نخرج لنتفسح أو نروح عن النفس في الأسواق. إلى عهد قريب, كانت المرأة في بلدنا هذا لا تُرى في الأسواق, وإذا خرجت خرجت متسترة بالحائك واللثام _الخمار_ هل لنا من صورة من تلك الصور الرائعة لنحتفظ بها ولو في المتاحف ؟ ماذا أصاب هذه الأمة التي كشفت عن عورتها؟ لقد بلغ (التطور) بنا إلى أن أصبحت المرأة والتلميذة تسير في الأسواق عارية البطن كاشفة عن صرّتها وجسدها. أين كرامة اللآباء والأزواج والإخوة ؟ من كان وراء هذا السفور؟ وما السر في انتشار هذا الفجور؟ نقول لدعاة السفور والتحرر : إن كنتم ترضون ببيع أزواجكم وبناتكم ونسائكم بالمجان, وتعرضوهن في الأسواق والشوارع والمقاهي, فإن نساءنا مومنات يستحيين أن ينظر الرجل إليهن ولا يقبلن أن تُمسّ أعضاؤهن من غريب ويلتزمن بشعار الإسلام الخالد: ﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الأولى .﴾

نسأل الله تعالى أن يحفظنا في أعراضنا وفي نسائنا وبناتنا وأن يعيد لهذه الأمة عزّتها وكرامتها آمين والحمد لله رب العالمين.

فذكر بالقرآن من يخاف وعيد

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيد العابدين وشفيع الأمة يوم الدين. وبعد يقول الله تعالى في آخر سورة ق :﴿واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب، يوم يسمعون الصيحة بالحق، ذلك يوم الخروج، إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير، يوم تشقّق الأرض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسير، نحن أعلم بما يقولون، وما أنت عليهم بجبار، فذكّر بالقرآن من يخاف وعيد﴾ (ق 41_45)

هذه الآيات من آخر سورة ق. المكية النزول تشتمل على خمسة وأربعين آية. وهي تشتمل على ابتداء الخلق والبعث والنشور وقيام الساعة والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب والترغيب والترهيب. كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يقرأها في المجامع الكبيرة كالجمع والأعياد.

نتعرض في هذا الجزء إلى بعض ما اشتملت عليه من التذكير بيوم العرض على الله تعالى. ونكتفي بما ورد في آخر السورة. يقول الله تعالى:﴿واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب﴾ أجمع المفسرون على أن المكان القريب هو صخرة بيت المقدس. والمعنى أن الله تعالى يأمر مَلَكاً أن يُنادي على هذه الصخرة: "أيتها العظام البالية. والأوصال المتقطّعة. والشعور المتفرقة. إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء. يوم يسمعون الصيحة بالحق أي يسمعون النفخة في

الصور. فيخرج كل من في الأرض.يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً: فإنما هي زجرة واحدة فيخرج الناس من الأجداث سراعاً خُشّعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر. مهطعين إلى الداعي يتخافتون بينهم من هول الصدمة فتخشع الأصوات للرحمان فلا تسمع إلاّ همساً.

تصور أخي المؤمن أنك راقد في قبرك فتسمع صوت انفطار السماء وترى النجوم قد انتثرت والأرض قد انشقت وجمعت الناس والوحوش. تصور يوم الفزع الأكبر. وتصور آنذاك وقوفك عرياناً حافياً مذهولاً والشمس دانية من راسك. تتدافع مع الناس حيث تلتفّ الساق بالساق. والعطش الشديد إذ لا ظلّ إلاّ ظل الله تعالى. فلا نوم ولا راحة . لا محمي لك. لا ولدا ينفع ولا أباً ولا صديقاً ولا حميماً . كل نفس تجادل عن نفسها. يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه. لكل امرئ منهم يومئذ شأن يُغنيه عن البحث في غيره .

إنه يوم عظيم مهما صورته لك لن أفي بإعطائك الصورة. راجع سور القرآن تجد بعض هذه الصور المفزعة راجع قول الله تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عمّا أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾.

اقرأ الآيات: إذا السماء انشقت. إذا السماء انفطرت، إذا زلزلت الأرض زلزالها، فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة ...وغيرها كثير

عن الحسن أن رسول الله ﷺ كان رأسه في حجر عائشة رضي الله عنها فنعس، فتذكرت عائشة الآخرة فبكت فسالت دموعها على خد النبيِّ ﷺ فاستيقظ بدموعها فرفع رأسه فقال: ما يُبكيك؟ فقالت يا رسول الله ذكرت الآخرة. فهل تذكرون اهليكم يوم القيامة؟ قال: والذي نفسي بيده، في ثلاثة مواطن فإن أحداً لا يذكر إلاَّ نفسه: إذا وُضعت الموازين، ووُزِنت الأعمال حتى ينظُر ابن آدم أيخفَّ ميزانه أم يثقل؟، وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه أخذ أم بشماله؟ وعند الصراط.

تصوَّر أخي المؤمن هذا الموقف العظيم الذي يجعل الولدان شيباً، تصوَّر عندما يتبرأَ منك الولد والأب والزوجة والصاحب وأنت في موقف بلغت فيه القلوب الحناجر من شدّة الأهوال تصور انتظارك الصحف، وهي تتطاير فتتساءل بم ستأخذ كتابك؟ أبيمينك أم بشمالك، قلبك واجف مملوء خوفاً متوقع أن يقع كتابك بشمالك. فتفتح الكتاب فيُقال لك اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً، فيقول الخاسر يومئذ: يا ويلتي ما لهذا الكتاب لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة إلاَّ أحصاها فيجد ما عمل حاضراً، ويلتقط الخاسر كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه فلم أدر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية.. تصور أنك فزت بالتقاط كتابك بيمينك، فتنتقل إلى المرحلة الثانية حيث توضع الموازين،تصور عظمة الميزان، يثقل بالحسنات فتتنفّس الصعداء ثم توضع السيئات ويكاد قلبك يخرج من صدرك لما ترى الكفة تكاد تسقط ثم يعود ليرجح

بالحسنات فتبقى بين الأمل والرجاء حتى يقف على ما قدّمت .تصور انك فزت أيضاً بالمرحلة فيُؤتى بجهنم. وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنّى له الذكرى-جيء بجهنم لها سبعون ألف زمام كل زمام يجره سبعون ألف ملك. يسمع لها من بعيد زفيراً وتغيُّضاً وارتفعت السنتها تحصد كل ما وُجد في طريقها نار وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غِلاظ شِداد. جيء بها فيُحال بها بينك وبين الجنة فيوضع الصراط. فترى الناس يمرون عليه. منهم من يمر كالبرق منهم من يمرّ كالفارس. ومنهم من يمرّ كالسلحفاة كل حسب عمله. ومنهم من لا يرفع قدمه حتى يسقط في النار .

تصور وقوفك بين يدي الرحمان تصور صغر نفسك بين يدي بديع السماوات والأرض. فبأي لسان تجيب حين يسألك عن قبيح أعمالك. وعظيم جُرمك. وبأي قدم تقف وبأي عين تنظر إليه عندما يذكّرك بمخالفاتك ومعصياتك. في ذلك الحين تقول نفسك يا حسرتا على ما فرّطتُ في جنب الله- ماذا تقول يوم يقول لك ربُّ العِزّة : يا عبدي ما أجللتني. أما استحييت منّي أما راقبتني؟ ألم أحسن إليك؟ ألم أُنعم عليك؟ ما غرّك منّي؟. فيسألك عن شبابك فيما أبليته؟ وعن عمرك فيما افنيته؟ وعن مالك من أين اكتسبته وفيما انفقته؟ سنقف جميعا بين يدي الله. فماذا أعددنا لذلك اليوم؟ وقد نبهنا نبينا ﷺ لذلك حين قال: "ليقفنّ أحدكم بين يدي الله تبارك وتعالى. ليس بينه وبينه حجاب يحجبه. ولا بينه وبينه ترجمان يُترجم عنه. فيقول: الم انعم عليك؟ الم آتك مالاً؟

فيقول: بلى. فيقول: ألم أرسل إليك رسولاً؟ فيقول بلى. ثم ينظر عن يمينه فلا يرى إلاّ النار.ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلاّ النار. فليتق أحدكم النار ولو بشقّ تمرة. فإن لم يجد فبكلمة طيبة"..

تصور أخي المؤمن كيف ستثبت رجلاك عند الوقوف بين يدي الله؟ وكيف تقدر على الكلام؟ وكيف يثقُل لسانك إلاّ أن يثبتك الله الرحمان الرحيم. الرؤوف فيُفرج عنك. فيقول لك إني سترت عنك في الدنيا وأنا أغفر لك اليوم. قد غفرت لك جُرمك. وكثير سيئاتك. فيطير قلبك من البهجة والفرح فيستنير وجهك بعد كآبة. وتكسف من الحياء من السؤال. وإن حرمك رحمته سمعت لنداء جهنم حين يقول لها رب العزة هل امتلأت فتقول هل من مزيد. ثم تراها تطلع على أفئدة المجرمين الذين يُسحبون فيها . إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يُسحبون في الحميم ثم في النار يُسجرون.. أولئك يُسقون من ماء حميم يقطع الأمعاء فالخاسر يومئذ.. يُسقى من ماء صديد يتجرعه لا يكاد يستسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت. ومن ورائه عذاب غليظ.. فذكر بالقرآن من يخاف وعيد صدق الله العظيم. نسأل الله تعالى أن يدخلنا الجنة برحمته لا بعدله. اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو موعودك آمين والحمد لله رب العالمين..

الاستخلاف في الصلاة

(سبب إعطاء هذا الدرس هو اننا لاحظنا بعض الأميين الذين لا يُحسنون الصلاة وبعض الأطفال يتسابقون للصلاة خلف الإمام مباشرة، وخشية ان يحدث للإمام حادث قد يجبره على استخلاف غيره فلا يجد من يفي بالمطلب، ويكمل الصلاة بالمصلين لأجل هذا كان لابد من التنبيه)

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، خير من صلى وصام، سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين، وبعد: لقد لاحظنا تقدم الأطفال للصلاة خلف الإمام مباشرة، وقد يحدث للإمام ما يمنعه من إتمام الصلاة بالمأمومين فيضطر إلى استخلاف من يكون خلفه، لذلك سيكون موضوع هذه الحلقة: الاستخلاف في الصلاة .

الاستخلاف في اصطلاح الفقهاء هو أن يُنيب إمام الصلاة أو أحد المأمومين رجلاً صالحاً للإمامة ليُكمل بهم الصلاة بدل الإمام لسبب من الأسباب، كأن يصلي الإمام بالمصلين ركعة أو اكثر ثم يعرض له في الصلاة مانع يمنعه من إتمام الصلاة كمرض فجائي، أو سبْق حدث، أو رعاف، أو غير ذلك مما يُبطل الصلاة. ففي هذه الحالة يصح للإمام أن يختار رجلاً من المصلين خلفه ويوقفه إماماً ليُكمل الصلاة بالمأمومين، فإن لم يفعل الإمام جاز للمأمومين أن يختاروا واحداً منهم لإتمام الصلاة بهم. ويُشترط في هذه الحالة أن لا يتكلموا وأن لا يتحولوا عن القِبلة.

قد يسأل سائل: لماذا هذا الأمر، ولماذا لا تتوقف الصلاة ثم يُؤتى بإمام يختاره المصلون أو انتظار رجوع الإمام أو غير ذلك؟ نقول: إن للصلاة حُرمة عظيمة فمتى وقف المؤمن فيها فإنه يناجي ربّه، لذلك لا يجوز أن يقطعها حتى يُتمها. ذلك أنها من الأعمال اللازمة التي لا يجوز التساهل فيها.

أما عن حكم الاستخلاف، فالمذاهب الأربعة تُجمع على أنه مندوب، ويكون واجباً في صلاة الجمعة.

وشروط الاستخلاف عند الفقهاء ثلاثة أنواع: الأول خارج عن الصلاة كأن يخشى الإمام بتماديه في الصلاة على إتلاف مال أو نفس حتى ولو كانت هذه النفس كافرة. والثاني متعلق بالصلاة ويكون مانعاً للإمامة دون الصلاة كالعجز عن ركن من أركان الصلاة كالقيام أو الركوع أو الرفع من السجود أو الجلوس.والثالث متعلق بالصلاة مانع من الصلاة ومانع من الإمامة كالذي يسبقه بول أو ريح أو تذكر الحدث أو أنه لم يتوضأ.. أما إذا فعل متعمّداً بطلت صلاته وصلاة من معه.

وقد يسأل سائل ماذا يفعل الإمام إذا حصل له مانع في السجود أو الركوع، الجواب أنه على الإمام أن يرفع دون تكبير سواء من السجود أو الركوع ثم يستخلف خليفة، ويبدأ من حيث انتهى الإمام أي أن يُكبر ويرفع من الركوع أو السجود كما سبق والمأمومون خلف المستخلف يتّبعونه كأنه الإمام الأصلي دون زيادة ولا نقصان

فإن رفعوا مع الإمام الأصلي رجعوا حتى يرفع الإمام المستخلف. فيرفعوا معه ولا شيء عليهم. أحياناً يرتبك الإمام ولا يستخلف. في هذه الحالة، المأمومون خلف الإمام يخلّفون اقربهم للإمام شريطة ان يكون عارفاً ملمّاً بأركان الصلاة او بعبارة افضل من تصحّ إمامته. وللإشارة على المستخلف أن يقرأ من حيث انتهى الإمام وإن كانت صلاة سرية. أما قراءة الفاتحة فيقرأها وجوباً.

ومن شروط الاستخلاف أن يكون المستخلف قد أدرك مع الإمام الأصلي جزءاً من الصلاة يُعتدّ به اي ركعة قبل الرفع من الركوع منها. ومن ثم إذا كان المستخلَف مسبوقاً كالذي أدرك ركعة واحدة أي الأخيرة مع الإمام. فحصل العذر للإمام فإنه يُكمل لهم الصلاة فيأتي بالركعة الرابعة ويجلس للتشهّد ثم يُشير إلى المأمومين بالجلوس ويقوم وحده لقضاء ما عليه فإذا سلم سلم معه من لم يكن مسبوقاً. وقام المسبوقون لقضاء ما عليهم بمعنى مفصل: لنعتبر أن المستخلَف دخل معه غيره في الصلاة في نفس الوقت فهو تنقصه ثلاث ركعات والذين معه أيضاً ثلاث ركعات أما الآخرون لا ينقصهم شيء في هذه الحالة تبقى المجموعة المتأخرة جالسة مع من أتموا الركعات حتى يسلم المستخلف ويسلم المصلون فتقوم الجماعة أو المجموعة التي دخلت متخلفة فتؤدّي ما بقي لها من الركعات.فإن قاموا ولم يعملوا بإشارة المستخلف بطلت صلاتهم.

لأجل هذا ننصح الإخوان الذين لا يعرفون هذه الشروط أن يحذروا من الصلاة خلف الإمام وترك المكان لمن هو أفقه منهم. وأن

يسألوا ويبحثوا في هذه الأمور. نسأل الله تعالى أن يعلمنا أمور ديننا ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا وولينا اللهم آتينا علماً نافعاً ورزقاً واسعاً وقلباً خاشعاً ولساناً ذاكراً والحمد لله رب العالمين.

في ذكرى الإسراء والمعراج

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الكبير المتعال، واشهد أن لا إله إلاّ الله ذو الإكرام والجلال، واشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى أصحابه البررة الكرام، وبعد: نستحضر في هذه الجلسة بعضاً من السيرة النبوية العطرة، ونخصّ منها المعجزة الظاهرة، معجزة الإسراء والمعراج. هذه المعجزة التي نستخلص منها العبر الكثيرة، ولعل أكبر عبرة نستخلصها هي الرجوع إلى الله تعالى كلما اشتدّت علينا الأمور، ولقد سبق أن ذكرت في بداية هذا الشهر الحرام سبب إنعام الله تعالى على رسوله الكريم بالرحلة المباركة الرحلة الأرضية التي عبّر عنها الله تعالى بالإسراء والرحلة السماوية التي عبر عنها بالمعراج. وقد أشرت إلى الظروف التي حدثت فيها هذه المعجزة، وركّزت على معاناة رسول الله ﷺ من عِناد قومه، وسخريتهم منه واضطهادهم له ولأصحابه مما دفعه للخروج إلى الطائف لعله يجد من يسانده، لكن أهل الطائف خيبوا أمله. ويرجع عليه السلام بعد أن حرضوا عليه أطفالهم فضربوه بالحجارة فرجع عليه السلام وقدماه مخضّبتان بالدماء. يعود إلى مكة وقد فقد السند الذي آواه: زوجته خديجة رضي الله عنها التي صدقته بعد أن كذبه الناس وأعطته بعد أن كان فقيرا وكان منها جل ولده عليه السلام. وفقد عمه أبو طالب الذي كان الحصن الحصين له في وجه قريش، أبو طالب الذي طالما رد عليه

كيد الكائدين وتحرُّش المعتدين. اشتدَّت عليه الأمور وضاقت فحزن لفقدهما حزناً عظيماً حتى سُمِّي ذلك العام بعام الحزن. فكان لابدّ من الرجوع إلى الله . ومن ثَمّ نستخلص أن المرء إذا ضاق عليه الأمر وجب عليه الرجوع إلى الله تعالى. فكذلك كان رجوع نبينا عليه السلام إلى الله تعالى فكان عليه السلام يجلس ويدعو الله ويقول: "أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات . وصلُح به أمر الدنيا والآخرة أن تكلني إلى نفسي طرفة عين. إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهّمُني. أم إلى عدوٍ ملّكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي. ولكن عافيتك أوسع لي".

يزّكي الله تعالى هذا الرجوع فكانت رحلته إليه الجسدية والروحية وسيلة للخروج من هذه الضائقة. يعرج لضيافة الرحمان ويرجع بأفضل هدية إلى الأرض. وهي الصلاة التي وجد فيها قرّة عينه وراحة نفسه وجسده. وكان يقول ﷺ: "جُعلت لي الصلاة قرّة عيني . وكان يقول إذا أحس بالضيق: أرحنا بها يا بلال". ونستنتج من هذا أيضا. أن من إكرام الضيف الإهداء له ولقد قيل: تهادوا تحابّوا.

هذا عن الرحلة السماوية. أمّا الرحلة الأرضية فلها أيضا دلالاتها. وقد أشرت إلى بعضها ولعل أهمّها مكانة المسجد الأقصى في المفهوم الإسلامي. فبيت المقدس هو مسرى رسول الله ﷺ وما فيها من شبر إلاّ صلى فيه نبي مرسل. أو قام عليه ملك مقرّب. وبيت المقدس هو المكان الذي تاب الله فيه على نبيه زكريا. وبشّره فيه بيحيى. وبيت المقدس هو المكان الذي كان الأنبياء يُقرّبون فيه

القرابين، وفيه أوتيت مريم فاكهة الشتاء في الصيف، وهو مكان مولد سيدنا عيسى عليه السلام، ومنه رفعه الله إليه، وفيه نزلت المائدة، وفيه صلى نبينا محمد ﷺ بالأنبياء والمرسلين، وسلموا له بالأمور وأقروا على ما وعدوا الله عليه، ومنه عُرج به إلى سدرة المنتهى.

فالقدس أو بيت المقدس هو الجزء المقدّس من فلسطين. والصراع الذي خاضه المسلمون عبر التاريخ كان هدفه الحفاظ على هذا الكيان الإسلامي العربي في مجموعه من بيت لحم إلى الخليل. ويرجع الاهتمام العربي الإسلامي بالقدس لكثرة النصوص الحديثية التي أُثرت عن رسول الله ﷺ، والتي تدلّ على أنها (القدس) رمز لا يجوز التفريط فيه.ومن هذه الأحاديث، قوله ﷺ: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وفي رواية الطبراني: يُقاتلون على أبواب المقدس وما حوله لا يضرهم من خالفهم ظاهرين إلى يوم القيامة". وقد اتفق الشراح على معنى (من خالفهم) أن المراد عُلُوهم عليه بالغلبة. وهي بشارة من رسول الله ﷺ فيها : أن كل من أعانهم على الجهاد من قريب أو بعيد فإن له نصيب من هذه البشارة .

فالنفس المؤمنة يكون الوقع عليها شديداً إذا علمت ما يجري الآن في أولى القبلتين وثالث الحرمين. لقد أصبحت تلك الأرض الطيبة عُرضة للتهويد، والاستيطان لطمس التراث العربي الإسلامي

فيها وقد أحيطت بالمستوطنات وشرع الصهاينة في تدمير كل عُمران إسلامي عربي على مرأى من العالم كله وبمباركة أمريكية بدعوى أن تلك البنايات تحتضن الإرهاب حسب زعمهم.

لقد حاول الاستعمار الصهيوني الذي لم يشهد له التاريخ بمثل أن يطمس التاريخ الإسلامي ببناء عمارات، وساحات للاحتفالات اليهودية. وقد بادر رئيس بلدية القدس المحتلة الصهيوني إلى جمع أموال فاقت مائتين وخمسين مليون دولار أمريكي لإنجاز مشروعه هذا، وقد جمع هذا المبلغ بواسطة الهاتف_ فقط_ من أغنياء اليهود الذين تسابقوا لإنشاء المشروع، في الوقت الذي جُمِّدت فيه المساعدات العربية لمدة خمس وعشرين سنة لإعادة العمران أو الزيادة فيه. بل تم تجميد حتى أموال الجمعيات الخيرية الإسلامية بدعوى أنها لتمويل الإرهاب. ثم هناك القيود التعسفية التي فرضتها سلطات الاحتلال الإسرائيلي على الوجود العربي في القدس.

من المفارقات العجيبة والغريبة أن مستشرقاً صهيونياً سعى إلى طمس هوية القدس بطريقة خاصة، حيث إنه اعتمد قول الله تعالى: ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ...**﴾، ليقول: أن ليس للمسلمين من القدس إلاّ حارة الأقصى لأن الآية لم تذكر القدس بل ذكرت المسجد الأقصى فقط.

قد يبدو هذا الكلام سخيفاً لا نُقيم له وزناً، ولكنه خطير جداً لأن الإنسان الغربي عندما يقرأ هذا الكتاب في غياب دراسات مضادّة

سيجد نفسه مُسلِماً بالواقع راضيا به. وإن لم يتحرّك أهل الشأن للحفاظ على المسجد، لتمتدّ يد الصهيون إلى احتوائه وجعله متحفاً أو مزاراً للسياح الأجانب. وقد لاحظنا على الهوائيات التلفزيونية كثيراً من السياح في أزيائهم العارية يحيطون بالمسجد لاستكشافه.

لقد اصبح اليهود الصهاينة يطردون السكان الأصليين من ديارهم، وأراضيهم إما علناً وقهراً، وإما أن يشتروا منهم أراضيهم ومساكنهم غصباً، في حين لا يُسمح لأي عربيّ شراء اي بقعة من الأرض أو البناء عليها، وإن حدث هُدِّم بدعوى انه بُني بدون ترخيص.

لنراجع قليلاً القدس في ملفات العالم أو ما يُصطلح عليه عصبة الأمم: إن نحن حاولنا جرد القرارات التي أصدرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة، ومجلس الأمن الدولي، لوجدنا هذه القرارات تُعدُّ بالمئات. وإسرائيل في تحدٍ ترفضها كلها، ولم تعمل ولو بقرار واحد منها، بينما العراق في حربه مع الأمريكان كانت القرارات تتهاطل عليه وإن اعتذر لقرار واحد تكالبت عليه كل الأمم. وللتذكير هذه بعض القرارات وتواريخها المتعلقة بقضية القدس ونبدأ بالتاريخ القريب فقط:

في سنة 1980 مجلس الأمن يرفض مشروع القدس عاصمة لإسرائيل، بنسبة أربعة عشر صوتاً مقابل لا شيء، وامتناع أمريكا عن التصويت. ويدعو القرار إلى إنهاء الاحتلال الذي طال أمده منذ سنة 1967 ويؤكد القرار تصميمه على دراسة السبل والوسائل العلمية

لأحكام وميثاق الأمم المتحدة. ويُلحّ على أن يبدأ الانسحاب قبل شهر نوفمبر من نفس السنة (1980). لكن إسرائيل ترفض القرار، وتضرب به عرض الحائط. وبعد عشرين يوماً يعود المجلس ليؤكد القرار بنفس النسبة (14 مقابل لا شيء، وامتناع أمريكا) وطالبت الدول بسحب بعثاتها الدبلوماسية من القدس. لكن دار لقمان تظل على حالها ولم يحرك الصهاينة ساكناً. وتوالت القرارات لتُضاف إلى مئات من القرارات السابقة.

إسرائيل ترفض وأمريكا تؤيّد. ونجد رئيس الكيان الصهيوني العالمي الأمريكي (بوش) يوقّع على وثيقة رفعها إليه مجلس الكونغرس تؤكد هذه الوثيقة أن القدس هي عاصمة إسرائيل، ويطالب القرار بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس لتحقيق هدف الصهاينة (القدس العاصمة الأبدية لإسرائيل).

السؤال الذي قد يُطرح، ماذا كان ردُّ المسلمين والعرب بصفة خاصة؟ هل سكوتهم يدلّ على الرضا بالواقع؟ وأشير هنا إلى أن آخر ما استجدّ في الأخبار أن أمريكا تدرس الآن مكان بناء سفارتها في القدس وهذا أكبر تحدٍّ للأمة الإسلامية والأمم المتحدة، وللعرب أجمعين. وهذا يؤكد أن الصراع القائم الآن ليس استراتيجيا ولا اقتصادياً وإنما هي حرب صليبية. وموقف الأعداء واحد فقد أقر الكثير من قادة الدول كفرنسا وأمريكا وهولندا وبلجيكا وغير هذه الدول كثير منهم من قالها صراحة في كثير من المحافل الدولية

والأمة الإسلامية بعد عزها أصبحت تكتفي بطلب ردّ الاعتبار وأقصاه اعتذار مهلهل على حسب منازلهم عندهم.

إن السيل العرم قادم والعدو إلينا زاحف وإن لم تجمع الأمة الإسلامية أمرها جُرفت إلى حيث لا رجعة . فإن كنّا قد فقدنا القدس فسنفقد الحرمين وسيبدأون بالحرم المدني لأن الصهاينة بدأوا يرشقون بالألفاظ حيث بدأوا بالمطالبة بإعادة قراءة التاريخ، فقالوا إن بني قريضة وبني النظير وبني قينقاع أُخرجوا من يثرب، المدينة المنورة، ويسعون إلى العودة إليها لتحقيق حلمهم الكبير: الإمبراطورية العُظمى من النيل إلى الفرات.ومن المناورات التي بدأت أمريكا تعتمدها اتهام الكونغرس الأمريكي للسعودية بأنها وكر ومنبع للإرهاب باعتبار أن بعض من كان وراء حادث الحادي عشر شتنبر كانوا من السعوديين. فاهتزّ شعور السعوديين بالطبع فمرّرت القضية بالوسائل المعهودة.

ومن المناورات أيضاً أن مندوب الإتحاد السوفياتي نطقت جوارحه وصرح بما يحاول أن يُخفيه غيره، فقال بصريح العبارة إن ما بعد العراق السعودية للاستيلاء على النفط الخليجي بأكمله، حتى ينزل سعر البترول إلى أدنى مستوى. إلاّ أننا نلاحظ أن الأمريكان وسط السعودية والإمارات والكويت وقطر وفي كل دول الخليج يتصرفون في الأرض وما يخرج منها بكلّ حرّية، ويظهر ذلك في كل مؤتمرات الأوبك عندما تطالب المنظمة بتخفيض الإنتاج لرفع السعر، تُسرع السعودية إلى الإعلان عن رفع الإنتاج. والسؤال هل

تفعل ذلك بمحض إرادتها؟أم مراعاة لمصالحها الاقتصادية؟ أم خوفها على العالم؟ نقول: لا ذا ولا ذاك إنما هي مأمورة.

نلاحظ أيضاً الشعارات التي يرفعها الغرب من حقوق الإنسان وحقوق الطفل وحقوق المرأة ..نحن نُسائلهم بأبسط ما يكون. إنكم تنادون بحقوق المرأة. فأين حق المرأة الفلسطينية التي رُمِّلت وهُدِّم بيتها وشُرِّد أبناؤها ؟ وأين حق الطفل الرضيع الذي يُفجّر رأسه بالمدافع الشديدة؟ وأين حق الطفلة التي رُدمت تحت رُكام مسكنها؟ أليست النساء الفلسطينيات ككل النساء في العالم أو أفضل؟ أوليس أطفال فلسطين ككل أطفال العالم لهم الحق في الحياة والعيش الطيب؟

إن البحث في خبايا هذا الموضوع يطول ويطول كثيراً لكني أختم هذه الحلقة بالقول: اعتبروا يا أولي الأبصار. واستيقظوا من سباتكم فقد طال نومكم نسأل الله تعالى أن يُعيد للإسلام عزته وكرامته. اللهم انصر الإسلام والمسلمين وارفع راية الإسلام خفاقة وأذلّ الشرك والمشركين. اللهم يا منزل السحاب وهازم الأحزاب اهزم الصهاينة وشتت شملهم وفرّق جمعهم واجعلهم وأموالهم وأبناءهم غنيمة للمسلمين وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.

قيم إنسانية من سورة يوسف

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على صفوة المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين وبعد: يقول الله تعالى من سورة يوسف: ﴿الر تلك آيات الكتاب المبين، إنا أنزلناه قرآناً عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين، إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ... لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين ...﴾ الآيات

هذه الآيات من سورة يوسف، وهي مكية النزول آياتها 111 وهذا العدد قد يثير بعض التساؤلات خاصة عندما نعلم أن إخوته أحد عشر وكأنه المقدمة في العدد وإخوته بعده.

سبب نزول السورة فيه أقوال، قيل هي ردّ على اليهود الذين كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن أخبار الأولين إمّا للتعجيز، وإمّا للتأكد من صدق نبوّته، ولعل ذلك مردّه إلى قوله تعالى:﴿ لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين﴾ وقيل أيضاً أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يطلبون من رسول الله ﷺ أن يقص عليهم لأن العرب كانت تحب القصص والاستماع إليها والجلوس إلى القصاص والإخباريين .وما يؤكد هذا الرأي، عن سعيد بن أبي وقاص قال: "نزل القرآن فينا، وتلاه علينا زماناً، فقلنا اقصص علينا". ولعل ذلك مردّه لقوله تعالى:﴿ نحن نقصّ عليك أحسن القصص...﴾، وقيل أيضاً إن سبب نزولها

هو التخفيف عن رسول الله ﷺ وصحابته من المعاناة التي كانوا يعانون منها، وقد نزلت هذه السورة ومجموعة أخرى من السور لهذا الغرض.

لقد نزلت هذه السورة بعد هود، وبعد هود، نجد سورة يونس، ويونس بعد الإسراء، وكلها جاءت بعد فترات حرجة من حياة الرسول الكريم سيدنا محمد ﷺ، وكلها سمِّيت بأسماء الأنبياء كما هو ملاحظ، وكأن الله تعالى يقول لنبيه محمد ﷺ: اصبر كما صبر هؤلاء، اصبر كما صبر أولوا العزم .

الجانب الأدبي: في هذه السورة كثيرة هي الآيات التي أصبحت أمثالاً يتداولها العامّ والخاصّ، والقرآن كله أمثال حتى قال الله تعالى: ﴿ **يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له..** ﴾ ومن هذه الأمثال قوله تعالى: وما أبرِّئ نفسي، وقوله إن النفس لأمّارة بالسوء، وقوله حاجة في نفس يعقوب، وقوله قضي الأمر الذي فيه تستفتيان، وإن كيدكن عظيم.. وغيرها كثير.

عند تتبُّعنا لمراحل القصة، ولمجموع الآيات الواردة في السورة، نجد مجموعة من القيم الإنسانية التي يجب أخذ العبر منها عند تدبرها، وقد حاولت تقصّيها فعثرت على أكثر من عشرين خصلة كلها من خصال المؤمنين، يجب الأخذ بها والاتصاف بها، وقد تكون خصال أخرى يمكن للقارئ أن يستخلصها . أمّا ما توصلت إليه فهو على الترتيب الآتي:

1) **الصبر**: وهو قيمة إنسانية جليلة واجرها عظيم عند الله تعالى. قال الله تعالى: **﴿إنما يُوفّى الصابرون اجرهم بغير حساب﴾** ونجد يوسف عليه السلام ابتُلي بثلاث محن وصبر عليها كلها، محنته مع عمّته، ومحنته في الجب، ومحنته في السجن. كما نجد صبر يعقوب عليه السلام، قال الله تعالى على لسانه: **﴿فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾**.

2) **حبّ الآباء للأبناء**: فالأب دائماً يتمنّى ان تكون له قرّة عين من ابنائه، وهي صفة من صفات عباد الرحمان، قال تعالى: **﴿والذين يقولون ربّنا هب لنا من ازواجنا وذرّياتنا قرّة اعين واجعلنا للمتّقين إماماً﴾** وتتجلّى عظمة هذا الحب عند فقدان الأب لأحد ابنائه. وقد لاحظنا كيف أن يعقوب عليه السلام فقد بصره من كثرة البكاء على ابنه. **﴿وقال يا أسفا على يوسف وابيضّت عيناه من الحزن فهو كظيم.﴾**

3) **الوفاء**: وهو أن يذكر المؤمن فضل غيره عليه. ولا يُقابله إلاّ بما هو أفضل وأحسن، ونستخلص هذه الخصلة من قوله تعالى على لسان يوسف لمّا غلّقت عليه زوجة العزيز الأبواب وقالت هيت لك:**﴿قال معاذ الله إنه ربّي أحسن مثواي﴾** فوفاءً للملك الذي احتضنه وربّاه في بيته امتنع من أن يقع في زوجته.إن وفاءه للملك منعه من ان يخونه في أهله.

4) **العــدل والشهادة بالحق**: يقول الله تعالى: **﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قُربى﴾** نجد هذه الخصلة في وصف الله تعالى لأحد المقربين

من زوجة الملك (فشهد شاهد من أهلها) فعندما دُعي لقول كلمة الحق تجنّب المُراءاة. فاستعمل الحكمة والعقل فقال: ﴿إن كان قميصه قُدّ من قُبل فصدقت وهو من الكاذبين، وإن كان قميصه قدّ من دُبُر فكذبت وهو من الصادقين...﴾ ويتفحّص الأمر. ﴿فلمّا رأى قميصه قُدّ من دُبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم ...﴾ ويأمرها أن تستغفر لذنبها فلم يُجاملها باعتبارها زوجة الملك. وقال الحقيقة دون خوف على منصبه.

5) **العفّـــة**: تروي بعض كتب التفسير أن النسوة لمّا رأينه وأكبرنه. وحدث ما حدث لهن من قطع أيديهن. حاولت كل واحدة منهن أن تختلي به وراودنه عن نفسه لكنه أبى واستعصم رغم أن كل واحدة كانت تحاول إغراءه بجمالها أو بصغر سنّها أو بمالها فقال:﴿رب السجن أحبّ إليّ ممّا يدعونني إليه وإلاّ تصرف عنّي كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين...﴾ فاستجاب الله إليه فصرف عنه كيدهن .

6) **تقوى الله في الخلوة وعند غليان الشهوة**: وقد دلّت عليه الآية اثنين وثلاثين من السورة. إن عفّته كانت خوفاً من الله تعالى وليس خوفاً من بشر ذلك أن كل الظروف كانت مهيأة له لكن مراقبته لله هي التي منعته.

7) **اليقين في الله**: وهي خصلة من شيم الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين. فإبراهيم عليه السلام عندما أُلقي في النار كان يقينه في الله تعالى فلم يطلب الغوث من بشر ولا من ملَك مُقرّب. فأنقذه الله ونجاه من النار. وموسى عليه السلام لمّا كان يقينه في

الله قوياً قال كلاّ إن معي ربّي سيهدين. فنصره الله على عدُوّه فأغرق فرعون وجنوده. ويوسف لم يطلب مساعدة أحد ولم يُقدّم رشوة. ولم يطلب تدخلاً للخروج من السجن او النجاة منه. بل قال: ﴿السجن أحب إليّ مما يدعونني إليهِ﴾

8) **الاستغفار عند ارتكاب الخطيئة**: كل ابن آدم خطّاء. وخير الخطّائين التوّابون الذين يتوبون ويستغفرون. ولعل الله قد خلقنا لأجل هذا: (لو لم تذنبوا فتستغفروا لذهب الله بكم وجاء بقوم يُخطئون ويستغفرون فيغفر لهم الله) وكثيرة هي الآيات التي تدعو الإنسان إلى الاستغفار. ونجد هذا المعنى في قوله تعالى:﴿واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين﴾

9) **وجوب ذكر الله عند كل فعل مستقبل**: وفيه معنى توكيل الله تعالى على كل أفعالنا. فيوسف عليه السلام لمّا وكّل صاحبه على أمره حين طلب منه أن يذكره عند الملك. يكون قد نسي ذكر الله . وكان ذلك سبباً في مُكثه وبقائه في السجن بضع سنين.

10) **تقديم المصلحة العامّة على المصلحة الخاصّة**: وحب الخير للغير كما يُحبه الإنسان لنفسه. ويستنتج هذا المعنى عندما نجد يوسف عليه السلام لمّا طلب منه تأويل رُؤيا الملك لم يتأخر في تفسيرها. ولم يطلب عوضاً أو تعويضاً عن عمله. لقد كان بإمكانه أن يطلب إطلاق سراحه من السجن مقابل تأويل الرؤيا خاصة وهي تحمل خطراً على الأمة . لكنه بمجرد ان قصّ عليه الرسول الرؤيا

قال: ﴿تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون، ثم يأتي سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلاً مما تحصنون..﴾ 49

11) **الفطنة**: على المؤمن أن يكون فطناً ذكياً لأن المؤمن القويّ خير عند الله من المؤمن الضعيف. والفطنة من الصفات الواجبة في حق الرسل. وقد تجلّت هذه الصفة في يوسف عليه السلام في طريقة تفسيره للرؤيا وكيفية الخروج من المحنة. ولم يكتف بالتفسير فقط بل أعطى الحل الذكيّ للمشكلة. وكانت فطنته سبباً في خروجه من السجن وتوليه منصب أمين خزائن الدولة.

12) **الحياء وكرم الأخلاق وحسن الخطاب**: وتتجلى هذه الصفات في تصرُّفه لما عاد إليه الرسول يدعوه لحضرة الملك. لقد قال: ﴿ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطّعن أيديهن...﴾ فكرم أخلاقه جعله يتستّر على زوجة الملك لأنه تربّى في حضنها. واحتراماً لمشاعر الملك أيضاً. لذلك لم يقل للرسول اسأل زوجة الملك بل قال: ما بال النسوة. وكذلك كان يفعل رسول الله مع صحابته عندما يُخطئ أحدهم فكان يقول: "ما بال قوم يقولون كذا وكذا".

13) **الاعتراف بالذنب**: وهو فضيلة لأن الاعتراف بالذنب يؤدّي إلى التوبة والتوبة طريق إلى الجنة. فالنسوة عندما سُئلن قلن: ﴿حاش لله ما علمنا عليه من سوء.. وقالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق، أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين.﴾ وتؤكد براءة يوسف لمّا تقول: ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب.﴾ فيوسف لم يقع في الخطيئة وهي فاحشة الزنى رغم

أنه كان في كامل الاستتار. وقولها هذا اعتراف بما سوّلت لها نفسها وتبرئة لها وليوسف من الخطيئة.

14) **التوبة والاعتذار**: ونستخلص هذه العبرة من قول زوجة العزيز: ﴿وما أبرّئ نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء﴾ فهي بهذا الكلام كانت تريد الاعتذار مما كان منها، وتعترف أن النفس أمارة بالسوء وهو ما دفعها إلى الاستغفار واسترحام الله مما ارتكبت فقالت: ﴿إن ربّي غفور رحيم﴾

15) **التعلّق بالأسرة والرحم**: لقد غاب يوسف عن اهله مدة طويلة من الزمن، إلاّ أن غيابه لم يُنسه أحداً منهم. ومنصبه الذي وصل إليه لم يُنسه ولم يُشغله عن أهله والتفكير في أبيه وأخيه. لذلك نجده بمجرّد وصول إخوته عرفهم رغم أنه غادرهم صغيراً، فأصرة القرابة لم تنقطع لديه، وسعيا لجمع الأسرة تحايل عليهم وطلب منهم إحضار أخيهم الأصغر مقابل الكيل. وما فعل ذلك إلاّ لأجل جمع شمل الأسرة والوصول إلى أبيه وأخيه.

16) **سعي الصالحين لتولية أمور المؤمنين**: هذه خصلة واجبة على كل مؤمن تقي يرى في نفسه الأهلية لتولي أمور الأمة خاصة إذا عُلِم أن هناك من يسعى إليها وهو ليس أهلاً لها، لن يُقيم حدود الله فيها. فطلب التولية يجب أن يكون لوجه الله، ولخدمة الصالح العام مصلحة الأمة لا لأجل الجاه والسلطان، والمصلحة الخاصّة. قال تعالى في وصف عباده الصالحين: ﴿والذين يقولون ربّنا هب لنا من أزواجنا وذرّيّاتنا قرّة

أعين واجعلنا للمتقين إماماً﴾ ولعل ذلك هو سبب قول يوسف: ﴿ اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾

17) **كظم الغيظ**: قال تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾ يوسف عليه السلام لمّا قال له إخوته :﴿إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل﴾ لم يغتظ. بل أسرّها في نفسه قال تعالى عنه: ﴿فأسرّها يوسف في نفسه ولم يُبدها لهم..﴾ جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله. اوصني. قال: لا تغضب فقال ثم ماذا؟ قال: لا تغضب. قال ثم ماذا ؟ قال: لا تغضب. فكررها ثلاث مرّات لذلك كانت هذه الصفة من الصفات التي يجب أن يتحلّى بها المسلم.

18) **الوفاء بالعهد**: يقول عز وجلّ: ﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا﴾ والوفاء بالعهد من صفات المؤمن كما هو في حديث رسول الله ﷺ عن المؤمن والمنافق. ونجد هذا الوفاء عند إخوة يوسف. لقد أعطوا لأبيهم عهداً بأن يحفظوا اخاهم. فلما حصل ما حصل لم يستطيعوا الرجوع إلى أبيهم . وطلبوا من يوسف وهم له جاهلون أن يأخذ أحدهم فقال كلاّ لن نأخذ إلاّ من وجدنا عنده متاعنا. فلمّا استيأسوا وهمّوا بالرجوع قال أكبرهم: ﴿ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله ومن قبل ما فرّطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي، وهو خير الحاكمين﴾

19) **عدم اليأس**: على المؤمن أن يُعلِّق آماله بالله تعالى. ولا ييأس ولا يقنط من رحمة الله ويعلم أن بعد كل عُسر يُسراً وقد ذم الله

الإنسان اليائس في كثير من الآيات ومثال ذلك ما نستخلصه من قول الله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام :﴿يا بنيّ اذهبوا فتحسّسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلاّ القوم الكافرون..﴾

20) **اعتبار المعروف صدقة**: قال الله تعالى على لسان إخوة يوسف: ﴿فأوف لنا الكيل وتصدّق علينا..﴾ أي اعفُ عنّا بمعنى أوضح: تصدّق علينا بالعفو. ذلك أن الأنبياء لا يقبلون الصدقة. فلو كانوا يقبلونها لجاز لنا أن نقول إن إخوة يوسف جاءوا من أجل طلب الصدقة لحملها إلى أبيهم.وهو محال في حقه عليه السلام.

21) **الحلم والعفو عند المقدرة**: في تتبعنا للآيات واستخلاص العبر. نجد يوسف عليه السلام لم يُقابل الشرّ بالشر. بل قابل شرّ إخوته بالحلم والعفو والصفح نجده عندما يتمكن منهم لم يستغل نفوذه ولا سلطته بل قال: "لا تثريب عليكم اليوم" بل إن حِلمه دفعه للخوف عليهم من عقاب الله تعال قال المفسرون توضيحاً لقوله: ﴿قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون؟...﴾ إنه عليه السلام أراد أن يقبِّح لهم فعلهم. لأن العلم بالقبيح يؤدّي إلى الاستقباح. والاستقباح يجُرُّ إلى التوبة. وهذا يعني أن كلامه هذا كان شفقة عليهم لا معاتبة بمعنى آخر: إنه سألهم عن توبتهم خوفاً عليهم من عقاب الله تعالى.

هذه بعض الاستنتاجات ويمكن أن نستنتج قيماً أخرى. لأن القرآن الكريم كله قيم وأخلاق، نسأل الله تعالى أن ينفعنا بما تعلمنا وأن يزيدنا علماً آمين والحمد لله رب العالمين.

فضائـــل القرض

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، إمام المرسلين سيدنا محمد الصادق الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد: يقول الله تعالى في محكم كتابه المبين: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمّى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علّمه الله فليكتب وليُملل الذي عليه الحق وليتق الله ربّه ولا يَبْخَسْ منه شيئاً فإن كان الذي عليه الحقّ سفيها أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يُملّ هو فليُملِلْ وليُّه بالعدل. واستشهدوا شهيدين من رجالكم. فإن لم يكونا رجلين ، فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكّر إحداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دُعُوا ولا تساموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله. ذلكم أقسط عند الله ، وأقوم للشهادة وأدنى الاّ ترتابوا. إلاّ أن تكون تجارة حاضرة تُديرونها بينكم فليس عليكم جُناح الاّ تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم. ولا يُضارّ كاتب ولا شهيد. وإن تفعلوا فإنه فُسوق بكم واتقوا الله ويُعلّمكم الله والله بكلّ شيء عليم﴾ (البقرة 282)

هذه الآية الكريمة هي أطول آية في القرآن الكريم. وهي من أواخر سورة البقرة. والواضح أنها تشتمل على إرشادات من الله تعالى لعباده المؤمنين.إذا تعاملوا بمعاملات مؤجّلة أو ما نسمّيه: القرض أو التداين. وهذا باب مهمّ من أبواب المعاملات. والهدف هو حِفظ الأموال

وضبط الشهادة. ويتّضح من ظاهر الآية وجوب كتابة الدين كيفما كان حفاظاً على العلاقات بين الناس وحفظا للأموال من الضياع .

كما نستنتج من هذه الآية أهمية الحفاظ على الديْن. إذ على المدين أن يحرص على أداء دينه لأنه إن مات تبقى روحه معلّقة حتى يؤدى عنه الدين. وقد أُثِر عن النبي ﷺ أنه كان يُؤتى بالجنازة ليُصلّي عليها فيسأل عن صاحبها إن كان عليه دين فإن قيل له نعم قال: صلّوا على صاحبكم. وقد جاء في السنن لأبي داوود عن سمرة رضي الله عنه قال. قال رسول الله ﷺ: "على اليد ما أخذت حتّى تُؤدّيه". ويكفي المؤمن أن تكون له نية أداء الدين فإن الله تعالى سيُعينه بدون شكّ على أدائه. يروي الإمام البخاري حديثاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ اخبر ان رجلاً من بني إسرائيل اقترض مالاً من رجل آخر. وجعلا الله بينهما شهيداً وكفيلاً. فرجع الرجل إلى أرضه وكان بينهما بحر فأراد أن يوصل الدين إلى صاحبه في أَجَلِه. فلم يجد قارباً فعمد إلى خشبة فنقرها وجعل فيها المبلغ ورماها في البحر وقال: اللهم إني جعلتك بيني وبين فلان شهيداً وكفيلاً. وتشاء إرادة الله أن تقع الخشبة في يد الدائن ويحملها حطباً فلمّا كسرها وجد المال في وسط الخشبة . ويلتقيان بعد مدة من الزمن ويحاول أن يعتذر له لعدم وجود مركب. فقال إن الله قد أدّى عنك الذي بعثته في الخشبة.

إن القرض من الأعمال الصالحة التي يُثيب الله عليها فهي كالصدقة أو أكثر. عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "رايت ليلة أُسري بي على باب الجنة مكتوباً: الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانية عشر. فقلت يا جبريل، ما بال القرض أفضل من الصدقة؟ قال: لأن السائل يسأل وعنده، والمستقرض لا يستقرض إلاّ لحاجة".

كثير من المتسوّلين يتسوّلون وهم يملكون ما لا يملكه غيرهم من المال حتى إن التسول أصبح عندهم باباً من أبواب العمل، إلاّ أن المستقرض قد يستقرض وهو في شدّة وضيق، ولولا الحاجة ما مدّ يده لغيره ولو على وجه الاستقراض. ومن كان في عون أخيه كان الله في عونه. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "كان رجل يُداين الناس فكان يقول لفتاه: إذا أتيت مُعسراً فتجاوز عنه لعلّ الله يتجاوز عنّا. فلقي الله فتجاوز عنه". رواه البخاري ومسلم لذلك كان على المُقرض أن يُمهل المُعسر وله بكل يوم أجرين قال رسول الله ﷺ: "من أنظر مُعسراً فله بكلّ يوم مثله صدقة قبل أن يحلّ الدين، فإذا حلّ فأنظره فله بكل يوم مثليه صدقة".

وعن عبد الله بن مسعود قال، قال رسول الله ﷺ: "ما من مسلم يقرض مسلماً قرضاً مرّتين إلاّ كان كصدقتها مرّة". رواه الإمام أحمد وابن ماجة في السنن. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال، قال رسول الله ﷺ: "حوسب رجل ممن كان قبلكم، فلم يوجد له من الخير شيء إلاّ أنه كان ميسوراً وكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر.

قال الله عزّ وجلّ نحن أحق بذلك منه تجاوزوا عنه". وهكذا يتضح أن التجاوز عن المعسرين مفتاح للجنة والنجاة يوم القيامة. عن أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "من سرّه أن يُنجيه الله عزّ وجلّ من كرب يوم القيامة فليُنفِّس عن معسر أو يضع عنه". وعن ابي البشير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من انظر مُعسِراً او وضع عنه أظلّه الله في ظله". رواه الطبراني واورده مسلم في صحيحه.

وعن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ إلى المسجد وهو يقول بيده هكذا_ وأومأ إلى الأرض_ "من نظر مُعسراً أو وضع عنه وقاه الله من فيح جهنّم. الا إن عمل الجنة حزن بربوة. الا إن عمل الجنة حزن بربوة. الا إن عمل الجنة حزن بربوة . الا إن عمل النار سهل بسهوة. والسعيد من وقِيَ الفتن وما من جُرعة أحبّ إلى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد الله إلاّ ملأَ الله جوفه إيماناً". رواه الإمام احمد في مسنده

نختم بالإشارة لمن أراد أن يتوسع في الموضوع انه عليه الرجوع إلى كتب التفاسير والوقوف عند قول الله تعالى: ﴿وإن كان ذو عُسرة فنظرة إلى ميسرة. وأن تصدّقوا خير لكم إن كنتم تعلمون.﴾ الآية 281 من سورة البقرة.

نسأل الله المنان أن يوسع علينا في الدنيا والآخرة وان يؤدي عنا ديون الدنيا والآخرة . وأن يتقبّل منا صالح أعمالنا آمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته الأكرمين والحمد لله رب العالمين.

صدقـات الضعفـــاء

سبب هذا الدرس هو أننا منذ بدأنا في إعادة بناء وتوسيع المسجد الذي أقدم فيه هذه الدرس فتحنا صندوقاً لتبرّعات المحسنين. وكل يوم جمعة كانت لجنة المسجد تجمع ما تجود به أيدي المحسنين. وكان هناك فقراء لا يجدون ما يساهمون به. فلاحظت بعض الامتعاض. فقدمت هذا الدرس للتخفيف على الفقراء.

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين . النبي الأميّ الأمين وعلى آله وصحابته أجمعين وبعد يقول الله تعالى:﴿ **ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل و والله غفور رحيم ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلتَ لا أجد ما أحملكم عليه تولّوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً الاّ يجدوا ما يُنفقون ..**﴾ (التوبة الآيتان 91_92)

هذه الآيات نزلت في سبعة من بني مقرن من مزينة وكانوا أهل حاجة (فقراء) أرادوا الجهاد مع رسول الله ﷺ وليس لهم مالٌ يُجاهدون به ولا راحلة يركبونها. فتولّوا وهم يبكون . فعلم الله محبّتهم له ولرسوله فأنزل الله :﴿ **ولا أجد ما أحملكم عليه و تولّوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً الاّ يجدوا ما يُنفقون ...**﴾

هذا عن سبب نزول الآيات. أما موضوع الدرس فهو أننا لاحظنا في هذا المسجد أن المحسنين يتسابقون للمساهمة في بنائه وهناك مجموعة تتأثّر كثيراً لمّا لم تجد ما تُنفقه. إن هؤلاء مثل هؤلاء النفر الذين ذكرهم الله في كتابه العزيز. فالفقر والحاجة ليسا

عيباً. فهذا رسول الله ﷺ كان دائماً يدعو ويقول: "اللهم أحيني مسكيناً وامتني مسكيناً واحشُرني في زُمرة المساكين يوم القيامة". (اخرجه الترمذي) وقال هذا حديث غريب. وقال ابن الأثير: وهذا التقدير وأمثاله لا يجري على لسان رسول الله ﷺ جُزافاً بل لسرٍّ أدركه فيه فإنه لا ينطق على الهوى. (مرتكزات الخطاب الدعوي لعبد الله الزبير : ص 101)

وفي حديث مصعب بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: "هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضُعفائكم". وروى النسائي قوله ﷺ: "إنما تُنصر هذه الأمة بضُعفائها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم" (المنتقى ص 2/281 الحديث رقم 1998)

إن الغنى غنى القلب وليس غنى الجيب .عن أبي ذرٍّ الغفاري رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: "يا أبا ذرّ أترى كثرة المال هو الغنى؟ قال: قلتُ : نعم يا رسول الله. قال: أفترى قلة المال هو الفقر؟ قلت نعم يا رسول الله. قال: إنما الغنى غنى القلب والفقر فقر القلب". وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "ليس الغنى كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس". (فتح الباري 2/116). والعرَضُ بفتح الراء حُطام الدنيا. لأجل هذا نقول لإخواننا الذين لا يجدون ما يُنفقون. لا تقنطوا ولا تحزنوا إن لم تجدوا ما تساعدون به. فخير مساعدة تقدِّمونها هي الدعاء. الدعاء ثم الدعاء.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله: ذهب أهل الدثور والأموال بالدرجات العُلى والنعيم المقيم. قال ﷺ: وما ذاك؟ قالوا يُصلّون كما نصلي ويصومون كما نصوم، ويتصدّقون ولا نتصدّق، ويعتقون ولا نعتق، فقال رسول الله ﷺ: افلا أعلِمكم شيئاً تُدْركون به من سبقكم، وتسبقون من بعدكم، ولا يكون أحد أفضل منكم إلاّ من صنع مثل ما صنعتم؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال: تحمدون في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين مرّة ـ(فضائل الأعمال للحافظ ص 2.)

إن معاني هذا الحديث تدلّ على أن الإحسان له عدّةُ أبواب ومن أبوابه التسبيح والتكبير والحمد. والشكر لله على كل حال. فإذا فضّل الله عليك أحداً بالمال . فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. والله يحبُّك إن حمدت وشكرت. لمّا سألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن سبب دعائه: "اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زُمرة المساكين". قال: إنهم يدخلون الجنة قبل الأغنياء أربعين خريفاً. وهل هناك فضل أكبر من هذا؟ الا تحبُّ أن يُيسِّر الله عليك الحساب يوم القيامة؟ إن صاحب المال يوقف عند كل درهم ويُسأل من أين اكتسبه وفيما انفقه؟ وانت لا تُسال إلا عما قدمت من تسبيح وتكبير وحمد. عن أبي ذرّ الغفاري انه قال: "خرجت ليلة من الليالي، فإذا رسول الله ﷺ يمشي وحده وليس معه إنسان، فظننت انه يكره أن يمشي معه أحد. قال فجعلت أمشي في ظلّ القمر. فالتفت فرآني فقال: من هذا؟ قلت أبو ذرِّ جعلني الله فداك، قال: يا أبا ذر، تعاله. قال

فمشيت معه ساعة فقال: إن المشركين هم المقلّين يوم القيامة. إلاّ من أعطاه الله خيراً فنفخ فيه بيمينه وشماله وبين يديه. ووراءه وعمل فيه خيراً" (صحيح البخاري بشرح الكرملي ص 22/2.9)

أخي المؤمن. إن الفقر ليس شقاء. فالشقاء من ترك ذكر الله وتطاول على الله ولم يحمد الله. قال رسول الله ﷺ: "إن اشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة". وقال ﷺ: "تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة. إن أُعطي رضي. وإن لم يُعطَ لم يرض". (صحيح البخاري بشرح الكرملي ص 22/2.6) .

ونختم بالدعاء المأثور عن رسول الله ﷺ: اللهم إني اعوذ بك من الكسل والهرم. والمأثم. والمغرم. ومن فتنة القبر وعذاب القبر. ومن فتنة النار وعذاب النار.ومن شرِّ الغِنى واعوذ بك من فتنة الفقر واعوذ بك من فتنة المسيح الدجّال. اللهم اغسل عنّي خطاياي بالماء والثلج والبرد ونقِّ قلبي من الخطايا كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب آمين. والحمد لله رب العالمين .

كفـــارة المرض

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على إمام المرسلين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه أجمعين: وبعد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه قال: "ما يُصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا همٍ ولا حزن، ولا أذى ولا غمّ حتى الشوكة يُشاكها إلاّ كفّر الله بها من خطاياه". (صحيح البخاري كتاب المرض والطب ص7/2)

قوله ﷺ: من نصب ولا وصب بفتحتين، النصب هو الألم الذي يُصيب البدن من جراحة أو غيرها. والوصب: الألم والسقم الدائم. وقوله ﷺ: ولا أذى ولا غمّ الأذى ما لا يلائم النفس وهو أعمٌ والظاهر انه يُراد به ما يتأذّى به الإنسان من غيره ونجد له معنى في القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿لتُبلوُنّ في أموالكم وأنفسكم ولتسمعنّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا أذى كثيراً﴾ وقال: ﴿والذين يُؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا﴾ والهمّ هو الذي يهُمّ الرجل أي يُذيبه حتى ينقص وزنه ويشحُبَ جسدُه وهو من همّ الشحم إذا أذابهُ. وأما الحُزن فهو ما يُصيب القلب من ألم بموت محبوب إلاّ أن الغم أشدٌ من الحزن. وقيل الهمّ يختصٌ بما هو آنٍ والحزن بما فات ونشير هنا إلى أن المؤمن يُصاب بأحد هذه الأمور أو بعضها، فإن صبر واحتسب كان أجره عند الله عظيما.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال: "اتيت النبي ﷺ في مرضه وهو يوعك وعكاً شديداً، وقلت: إنك توعك وعكاً شديداً، قلت إن ذلك بأن لك أجرين؟ قال: أجل ما من مسلم يُصيبه أذى إلاّ حاتّ الله عنه خطاياه كما تُحاتّ ورق الشجر". (صحيح البخاري باب شدة المرض ص7/3)

وعنه رضي الله عنه أنه قال: "دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك، فقلت يا رسول الله، إنك توعك وعكاً شديداً قال: أجل، إنّي أوعك كما يوعك رجلان منكم، قلت ذلك بأن لك أجرين؟ قال أجل، ذلك كذلك ما من مسلم يُصيبه أذى شوكة فما فوقها إلاّ كفّر الله بها سيّئاته كما تحطّ الشجرة ورقها". المصدر السابق نلاحظ أنه شبّه حال المريض الذي أصاب المرضُ جسده فصبر واحتسب شبّهه وسيئاته تتساقط عنه سريعاً كما تتساقط أوراق الشجر أثناء هبوب الريح الخريفية حتى لا يبقى من أوراقها شيء، فكذلك تُكفّر سيئات المريض.

عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه عن النبي ﷺ قال: "مثل المؤمن كمثل الخامّة (أي الغُصنة اللينة) من الزرع تفيئها الرياح (أي تُميلها) يميناً وشمالاً. تصرعها مرّة وتعدلها مرّة. ومثل المُنافق كالأرزّة لا تزال حتى يكون انجِعافُها مرّةً واحدة". المصدر السابق وفي رواية أبي هريرة قال رسول الله ﷺ "مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تُميله، ولا يزال المؤمن يُصيبه البلاء، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تهتز". هذا هو حال المؤمن يُصاب بأنواع

المشقّة من الخوف والجزع والمرض وغيرها حتى يأتي الأجل. فهو لا يخلو من علّة أو ذِلة كما قيل فتراه يصبر ويرضى ويشكر. ومثله كمثل الفاكهة تحمرٌ وتصفرّ أما المنافق فلا يُصيبه شيء حتى يسقط مرّة واحدة ويكون مصيره النار لأنه حُرِمَ من الصبر والاستغفار.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إنّ عُظمَ الجزاء من عُظمِ البلاء وأن الله عزّ وجلّ إذا أحبّ قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط". والحديث معناه أن عظمة الأجر والثواب مقرونة بعُظْم البلاء، فمن رضي بالبلاء فله الرضى من الله في الدنيا والآخرة ومن كره بلاء الله وفزع ولم يرض بقضاء الله فله السخط من الله.

قال أحد المفسِّرين لهذا الحديث: فُهم منه أن رضى الله مسبوق برضاء العبد، ومحال أن يرضى العبد عن الله تعالى إلاّ بعد رضاء الله تعالى. مصداقاً لقوله تعالى: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾آخر البينة نسأل الله الرضى أزلاً وأبداً وسابقاً ولاحقاً وأن يجعلنا من الصابرين الحامدين الشاكرين الذاكرين الله كثيراً آمين ونختم بهذه الأبيات:

يا أيّها الراضي بأحكامنـــا	لا بدّ أن تحمد عُقبى الرضا
فوِّض إلينا وابق مستسلما	فالرّاحة العُظمى لمن فوّضا
لا ينعم المرء بمحبوبـــه	حتّى يرى الراحة فيما قضى

وخلاصة الدرس أن الدنيا سجن المؤمن وجنّةُ الكافر فينبغي للمؤمن أن يكون صابراً على حكم الله راضياً بما قدّره الله له وقضاه لقد جاء في الحديث القدسي: ﴿ من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليلتمس ربّاً سواي ﴾ وعن عامر رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله ﷺ الأسقام فقال: إن المؤمن إذا أصابه السقم ثم عافاه الله عزّ وجل منه كان كفّارة لما مضى من ذنوبه وموعظة له فيما يستقبل. وأن المنافق إذا مرض ثم أُعفي كان كالبعير عقله أهله ثمّ أرسلوه فلم يدر لم عقلوه. ولم أرسلوه. قال رجل: يا رسول الله وما الأسقام؟ والله ما مرضت قطّ . قال له ﷺ: قم عنّا فلست منّا". نسأل الله العافية. وأن يحفظنا في أبداننا وأبصارنا آمين والحمد لله رب العالمين.

عيـــادة المريـــض

بسم الله الرحمن الرحيم، أحمده تعالى وأستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، أما بعد عن البرّاء رضي الله عنه قال: "أمرنا رسول الله ﷺ بسبع، ونهانا عن سبع، أمرنا باتباع الجنائز، وعيادة المريض، وإجابة الداعي، ونصر المظلوم، وإبرار القسم، وردّ السلام، وتشميت العاطس، ونهانا عن آنية الفضة، وخاتم الذهب، والحرير، والديباج، والقسي، والاستبراق".

يرى بعض شُرّاح هذا الحديث أن عيادة المريض سنة، وقيل واجبة لما في الحديث من معنى الأمر، ومن قال بالوجوب اعتمد على حديث أبي هريرة رضي الله عنه حيث قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: حقٌ المسلم على المسلم خمس: ردُّ السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العطس". (صحيح البخاري باب الأمر باتباع الجنائز) ومما يدل على الوجوب أيضاً قوله ﷺ: "أطعموا الجائع، وعودوا المريض، وفُكّوا العاني". (شفاء الروح لابن عبد الستار، ص 88) والعاني هنا بمعنى: الأسير.

وفي باب الترغيب، نورد حديث ثوبان عن مسلم رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل

في خرفة الجنة حتّى يرجع. قيل يا رسول الله وما خرفة الجنة؟ قال: جناها" (شفاء الروح ص 89)

وعن علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من أتى أخاه المسلم عائداً مشى في خرافة من الجنة حتى يجلس. فإذا جلس غمرته الرحمة. فإذا كان غُدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يُمسِّي. وإن كان مساء صلى عليه سبعون ألف ملم حتّى يُصبح". (رواه أبو داوود وابن ماجة: انظر فضائل الأعمال للحافظ ضياء الدين 34)

وقد ورد في صحيح البخاري: "عن أنس بن مالك رضي الله عنه. أن غُلاماً يهوديا كان يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقال له أسلم فأسلم". (صحيح البخاري باب عيادة المشرك ص6/ 7) ويُستفاد من هذا الحديث أن زيارة المريض واجبة وأن هذه الزيارة قد تكون رحمة للمريض. فإن كان ضالاً قد يتوب إلى الله ويُؤجر الزائر والمُزار. ونشير أنه من السنة أن تطلب من المريض الدعاء لك لأن دعوة المريض المحتسب مُستجابة. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا دخلت على المريض فمره يدعو لك فإن دعاءه كدعاء الملائكة". (رواه ابن ماجة انظر فضائل الأعمال للحافظ ضياء الدين المقدسي ص 35)

ومن أدب زيارة المريض أن تدخل عليه مسلِماً مستأذناً. فإذا جلست ضع يدك على جبينه وادع له الله الشفاء. ولا تنظر إلى غير ما

جئت من أجله. أخرج البخاري في الأدب المفرد عن عبد الله بن أبي هُذيل قال: "دخل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه على مريض يعوده، ومعه قوم وفي البيت امرأة فجعل رجل من القوم ينظر إليها فقال له عبد الله بن مسعود: لو انفقَأت عينُك كان خيرا لك". (الأدب المفرد ص 78) وحتى يكتمل الأجر على العائد الذي يعود المريض أن يتوضّأ ويُحسن الوضوء قبل الخروج لعيادة المريض، لأن هذا العمل عبادة والعبادات يُستحبّ أن يكون صاحبها على طهارة، ومتوضّئاً. قال رسول الله ﷺ: "من توضّأ فأحسن الوضوء وعاد أخاه المسلم مُحتسباً بوعِد عن النار سبعين خريفاً". (سنن أبي داوود باب فضل العيادة على الوضوء _ وانظر كتاب الشفاء ص 99)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: "إن الله تعالى يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضتُ فلم تعُدني ، قال يا رب كيف أعودك وأنت ربّ العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعُده، أما علمت أنك لو عُدته لوجدتني عنده؟ . يا ابن آدم، استطعمتك فلم تُطعمني، قال: يا رب كيف أطعمك وأنت ربّ العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي؟"

لاحظ أخي المؤمن أن الله تعالى لما قال: مرضت فلم تعدني أراد بذلك مرض عبده وأضافه إلى نفسه تشريفاً لذلك العبد فنزّله

منزلة ذاته. وكأن من عاد مريضاً فكأنه زار الله. ونستخلص من الحديث أيضاً أن رضاء الله عند المريض وهو في قوله: لوجدتني عنده.والمراد به الرضا. وفي الحديث أيضاً إشارة إلى أن عيادة المريض أفضل من العبادة. وقد قيل أنه لم يرد في الثواب أعظم من هذا.

أخي المؤمن لا تغفل عن عيادة المريض . ونقول لك ما تقوله الملائكة لعائد المريض: طبت. وطاب ممشاك ونسأل الله تعالى الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء أن يتقبّل منا صالح أعمالنا . والحمد لله رب العالمين .

مفهوم الرجولة في الكتاب والسنة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وتجعل الحزن إن شئت سهلا. وبعد يقول الله تعالى في محكم كتابه المبين: ﴿من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه..﴾ ويقول: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ ويقول في سورة النساء:﴿الرجال قوّامون على النساء ..﴾ ومن سورة يس يقول تعالى: ﴿وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى...﴾

نلاحظ من هذه الآيات وغيرها في القرآن الكريم كثير، أن الله تعالى وصف هذه الطائفة بالرجال، إلاّ أنه عز وجلّ عندما أراد أن يذكر الجنسين قال: ﴿ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظّ الأنثيين﴾ نلاحظ أنه تعالى قال: للذكر، ولم يقل للرجل مثل الأنثيين، وهذا يعني أن ليس كل ذكر رجلاً. إذ لا يُنعتُ الشخص بالرجولة أو الرجولية إلاّ إذا تحلّى بصفات مميزة، منها الصدق والوفاء، قال تعالى: ﴿من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه.فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، وما بدّلوا تبديلاً ليجزي الصادقين بصدقهم ويعذّب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم﴾ المؤمنون كثيرون لكن منهم رجال استحقوا أن يوصفوا ويُلقّبوا بصفة الرجولة .

فالرجل الحق هو الذي يعمر المساجد ويذكر الله فيها قال تعالى: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر...﴾ وقال: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ..﴾ ومما يميّز الرجولة عن الذكورة أن الرجل هو الذي يقوم بشؤون أهله. وليس الرجل بالذي يعطي القوامة ويمنحها للنساء، كما هو الشأن عند كثير من الأشخاص في مجتمعاتنا. قال تعالى: ﴿الرجال قوّامون على النساء بما فضّل بعضهم على بعض..﴾ فالذي يدعو إلى قِوامة النساء كأنه خلع على نفسه رداء الرجولة وألبسه للمرأة. فالتخلّي عن القوامة وتركها للنساء فقدان للرجولة.فمن الرجولة الشعور بالمسؤولية تجاه الأسرة، والرجولة عطف وحنان. وإحسان إلى الأهل. إذا راجعنا السيرة النبوية الطاهرة وجدنا أن رسول الله ﷺ كان في مهمّة أهله يغسل ثوبه ويحلب شاته، ضحّاكاً بسّاماً مع أهله، متفقِداً لنسائه. ومن هذا نقول: ليست الرجولة هي الخشونة كما يعتقد بعض الناس . فرسول الله ﷺ كان أعظم الرجال ولكنه كان ليِّناً مع أهله ومع المومنين الرجولة مكانة تدلُّ على تحمّل المسؤولية. وعدم الخوف من الغير. فالرجل الذي جاء ليخبر موسى عن المكيدة التي كانت تُدبّر له إنما فعل ذلك من باب المسؤولية ورجولته دفعته إلى أن يأتي من أقصى المدينة ليُحذِر موسى من الخطر الذي يُحيط به. قال تعالى: ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن القوم يأتمرون بك ليقتلوك..﴾ وقال: ﴿فاخرج إني لك من الناصحين..﴾ (القصص 19)

ومن الرجولة النطق بالحق ولو في حضرة الحاكم لا يخشى إلاّ الله قال تعالى: ﴿وقال رجل من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً يقول ربّيَ الله وقد جاءكم بالبيّنات من ربكم وإن يك كاذباً فعليه كذبُه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مُسرفٌ كذّاب﴾ (غافر 28) لقد لقّب الله هذا الشخص بالرجل فقال في حقّه:قال رجل، لم يقل قال شخص أو أحد أو فرد أو ذكر من قوم فرعون، بل قال رجل من آل فرعون. فقد استحقّ صفة الرجولة لأمرين: لإيمانه والثانية لجهره بكلمة الحق. ولُقِّب موسى بالرجل لأن دعوته كانت على حق وبُعِث بالحق، ليقول الحق. ونجد نفس الوصف يُطلقه الله على الرجل المذكور في سورة (يس) فبعد أن كذّب القومُ الرّسلَ، قال الرجل : ﴿يا قوم اتبعوا المرسلين..﴾ لقد مال إلى الحق، وإيمانه ورجولته أوصلته إلى الثناء عليه من الله تعالى في الدنيا وذكره في كتابه العزيز. ثم أنزله المنزلة العُليا في القبر حتى إنه لما رأى من النعيم وهو في قبره قال: ﴿يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربّي وجعلني من المكرمين..﴾ لنقرأ قول الله تعالى:﴿وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين، اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون، وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه تُرجعون، أأتخذ من دونه آلهة إن يُردن الرحمان بضُرٍّ لا تُغن عنّي شفاعتهم شيئاً ولا يُنقذون إني إذاً لفي ضلال مبين إني آمنت بربكم فاسمعون، قيل ادخل الجنّة، قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربّي وجعلني من المكرمين.﴾ إن فعل هذا الرجل كان فعل الرجال لذلك استحقّ ما استحقّ من الذكر والجزاء.

من خلال ما تقدّم نخلص إلى أن الرجل ليس من هو غارق في الشهوات. وليس الرجل من يترك الشارب واللحية ويُقلِّب السجارة بين أصبعيه. ويُخرِج الدخان من مناخره. وليس الرجل من يشرب الخمر وليس الرجل من يقطع الطريق. أو يسرق أموال الناس. فالسارق سُمِّي سارقاً لأخذه أموال الناس خُفية وخوفاً والرجل لا يكون خوّافاً. فانظر إلى السارق فإنه يلجأ إلى الهرب بمجرد أن يشعر به الناس كالهرِّ الضعيف الذي يسرق قطعة لحم أو طعامٍ فهروب السارق ليس بدافع الرجولة .

ومن الرجولة أيضاً أن يكون الشخص صاحب قرار لا يكون تابعاً إن أحسن الناس أحسَنَ وإن أساءوا أساء. وإن أذنبوا أذنب. ومن الرجولة ضبط النفس عند الرغبة والشهوة . لقد أطلق رسول الله ﷺ كلمة رجل على الذي يُلجِم نفسه ويحكمها عند الغريزة قال ﷺ: "سبعة يُظلهم الله يوم لا ظِلّ إلاّ ظلُّه". ذكر منهم: "رجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال إني أخاف الله رب العالمين". وذكر منهم "رجل خلا بنفسه فذكر الله فدمعت عيناه". هؤلاء هم الرجال .ولنا في أصحاب رسول الله ﷺ عِبرة . هذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه كان رجلاً لأنه كان يحمي الدين. انظر إليه في هجرته مع رسول الله ﷺ. كان يُعرض نفسه للخطر ليحمي نبي الأمة. في الطريق كان يأتي النبي ﷺ من بين يديه ومن خلفه. وعن يمينه وعن شِماله. فيسأله رسول الله ﷺ عن فعله فيجيب: "يا رسول الله إني أخاف أن يدُسّ لك الأعداء. لذلك انا أحميك بجسدي. فإن متت فأنا رجل.

لكن إن أُصِبت أنت فأنت الدين. أنت الإسلام قد يُصاب الدين والإسلام إن أُصبت يا رسول الله". إنها قمّة الرجولة ولا رجولة بعدها.

إن نحن ركزنا في هذا الدرس على الطاعات باعتبارها من شِيم الرجولة فإننا لا نعني التماوت في الدين كما يفعل بعض الشباب. حيث نجد الشاب ليّناً مرتخياً. فقد رُوي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يطوف بالكعبة. فلاحظ شاباً يطوف بالبيت في خشوع وسكينة مبالغ فيها حتى ظن انه مريض فسأل عنه فقيل إن ذلك هو حاله. فأتاه عمر رضي الله عنه فوكزه بشيء كان في يده فقال له لا تُمت علينا ديننا أماتك الله.وهذا يعني أن الإسلام يريد الرجل الكامل القويَ النشيط. لقد كان يُسمع مشيُ رسول الله ﷺ وصوت وطأته من بعيد. وكان عمر رضي الله عنه رجلاً لأنه كان إذا أطعم أشبع وإذا تكلم اسمع وإذا ضرب أوجع. وكان شباب المسلمين رجالاً بكل ما تحمله الكلمة من معنى. يدافعون عن دينهم وقيمهم وأوطانهم. ولنا في الفلسطينيين عبر. يُضحّون بأنفسهم في سبيل قضيتهم وفي سبيل دينهم ووطنهم وارضهم. حتى إنه أصبح من الشائع عندهم أن البيت الذي ليس فيه شهيد يُحقَّر. وأصبح الفلسطينيون يتفاخرون بتقديم الشهداء.

لكن شبابنا في بلادنا أصبح اليوم يفتقد رجولته شيئاً فشيئاً. تخلى عن الدين وأعرض عن القيم. واصبح يقلِّد الغرب في لباسه. وهيأته. يضع الأقراط في اذنيه ويُطيل شعره ويتخنث في مشيته. حتى أصبحنا لا نفرّق بين الجنسين. تجد الشاب قد بلغ من العمر أكثر من الثلاثين أو تجاوز الأربعين وهو عالة على أهله تُنفق عليه

أمه وإن لم تجد له شيئاً انكمش على نفسه، والصق التهمة بالمجتمع. وربما يرمي نفسه في أحضان المخدرات بدعوى أنها تُنسيه الهموم. ونختم حديثنا ببعض أقوال الحكماء والشعراء في الموضوع. يقول الشاعر:

لعمرُك ما الفتيان تُنبتُ اللحى ولكنما الفتيان كل فتى ندي

وقال الحسن البصري رحمه الله: "الناس ثلاثة: فرجل رجل، ورجل نصف رجل، ورجل ليس برجل. فأما الرجل الرجل، فذو الرأي والمشورة، وأما الرجل نصف الرجل، فالذي له رأي وليست له مشورة، وأما الرجل الذي ليس برجل: فالذي ليس له راي ولا مشورة".

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا يُعجبكم من الرجل طنطنته، ولكن متى أدى الأمانة وكفّ عن أعراض الناس، فهو الرجل.

وقال الإمام علي كرّم الله وجهه: لا أعرف الرجال إلاّ بالحق، ولكن يُعرف الحق إلاّ بالرجال.

وسُئل حكيم عن أي الرجال أفضل قال: من إذا حاورته وجدته حكيماً، وإذا غضب كان حليماً وإذا أظفر كان كريماً، وإذا استمنح منح جسيماً، وإذا وعد وفِيَ وإن كان الوعد جسيماً، وإذا شُكي إليه وُجِد رحيماً.

نسأل الله تعالى أن نكون من الرجال الذين يحبهم الله ورسوله، وأن يردنا إلى ديننا وأن يجعل منا ومن أبنائنا رجالاً يحمون الدين والوطن آمين والحمد لله رب العالمين.

حلاوة الإيمـــان

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي حبب إلينا الإيمان وزيّنه في قلوبنا. والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين. سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد. يقول مولانا رسول الله ﷺ: "ثلاث من كنّ فيه ذاق حلاوة الإيمان. أن يكون الله ورسوله أحبَّ أليه ممّا سواهما. وأن يُحب المرء لا يُحبّه إلاّ لله. وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النار".

يرى العلماء أن حلاوة الإيمان يُقصد بها الاستلذاذ بالطاعات. وتحمّل المشاق في رضا الله ورسوله. وظاهر الحديث أن الإيمان نوعان. إيمان بحلاوة. وإيمان بغير حلاوة. ومنه قول رسول الله ﷺ: "الإيمان إيمانان. إيمان لا يدخل صاحبه النار. وإيمان لا يخلّد صاحبه في النار". (كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب ص 87)

والحديث موضوع هذا الدرس فيه إشارة إلى التحلّي بالفضائل والتخلّي عن الرذائل. وقال بعض المفسرين للحديث: إن محبة الله تعالى على قسمين: فرض. وندب. فالفرض المحبة التي تبعث على الامتثال لأوامره. والانتهاء عن معاصيه. والرضا بما قدّر. فمن وقع في معصية من ترك واجب أو ارتكاب حرام فإن ذلك راجع لتقصيره في محبّة الله. ذلك أنه قدّم هوى نفسه على محبة الله. وتكون المحبة مندوبة إذا كان المؤمن يواظب على النوافل ويتجنّب الوقوع في

الشُبهات. وكذلك محبة رسول الله ﷺ على قسمين فرض وندب: ويُزاد أن يستضيء بمشكاته عليه السلام فيتخلّق بأخلاقه في الجود والإيثار والعلم والتواضع.

يقول الشيخ محي الدين: "هذا حديث عظيم وأصل من أصول الدين. ومعنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات وتحمّل المشاق في الدين ومحبة العبد الخالق وهذه تحصل بفعل الطاعات وترك المعصيات. ونجد هذا الربط بين حب الله وحب الرسول ﷺ فإن كانت محبة واحدة فإنها لاغية للأخرى إذ لا يجوز أن تحب الله ولا تحب الرسول. وكذلك من يدعي حب الرسول وحده ولا يُحب الله. وهذا ما يُستفاد من قول الله تعالى: ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**﴾". هناك ملاحظة دقيقة: انظر إلى قول الله تعالى: ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾ نجده أعاد أطيعوا في الرسول ولم يعدها في أولي الأمر منكم لأنهم لا استقلال لهم في الطاعة كاستقلال الرسول ﷺ.

شرح الحديث: قوله: ثلاث مبتدأ والجملة خبر. وجاءت بالتنوين في محل المضاف- خصال- أي ثلاث خصال. وقوله: ذاق حلاوة الإيمان. استعارة سنعود لتبيانها. قوله أن يحب المرء دلت على أن حقيقة الحب هي التي تكون في الله. وقد ورد في الحديث: أن يحب في الله ويُبغض في الله. قوله أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف

في النار: هنا جعل الوقوع في نار الدنيا أهون من الرجوع إلى الكفر الذي أنقذه الله بالخروج منه من نار الآخرة .

أما عن الحلاوة والتي هي موضوع الكلام فقد فسرها صاحب كتاب فتح الباري بأنها استعارة تخيِّلية فيقول: "شبه رغبة المؤمن في الإيمان بشيء حلو, وفيه تلميح إلى قصة المريض والصحيح, فالمريض يجد طُعم العسل مُراًّ , والصحيح يذوق حلاوته على ما هي عليه, وكلما نقصت الصحة نقص ذوقه بقدر ذلك". وفي هذا يقول الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: "إنما عبّر بالحلاوة لأن الله شبه الإيمان بالشجرة في قوله تعالى:﴿**مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة..**﴾ فالكلمة هنا هي كلمة الإخلاص, والشجرة أصل الإيمان, وأغصانه اتباع الأمر واجتناب النهي, وورقها ما يهتم به المؤمن من الخير, وثمرها الطاعات, وحلاوة الثمر جنيُ الثمرة".

وهكذا فقد اختلف الناس في الحلاوة هذه أهي محسوسة؟ أم معنوية؟ فأخذها الفقهاء على المعنى, وحملها أهل الصفة على المحسوس وأبقوا اللفظ على ظاهره من غير تأويل. ولعل الصواب معهم ويشهد لما ذهبوا إليه من أحوال الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح. لأن ما يُحكى عنهم يدلٌ على أنهم وجدوا الحلاوة محسوسة. ومن جُملة ما حُكيَ في هذا الشأن . حديث بلال رضي الله عنه حين صُنع به ما صُنع في الرمضاء إكراهاً على الكفر فكان يُردد أحد, أحد. فمزج مرارة العذاب بحلاوة الإيمان ويُروى أنه عند موته لما كان أهله يُنادون : وا كُرباه . كان يقول : وا طرباه .

ومما يُؤخذ في هذا المعنى حديث الصحابي الذي سُرق فرسه وهو في الصلاة، حتى رأى السارق حين أخذه ولم يقطع الصلاة. فقيل له في ذلك فقال: ما كنت فيه أكبر من ذلك. وليس ذلك إلاّ من حلاوة الإيمان التي وجدها محسوسة في وقته ذلك وهو يُصلّي .

ومن ذلك أيضاً ، حديث الصحابيين اللذين جعلهما النبي ﷺ في بعض مغازيه يحرسان جيش المسلمين، فنام أحدهما وقام الآخر يُصلّي فجاء الجاسوس من قِبل العدوِّ فرمى الصحابيَّ بسهم فأصابه فبقي على صلاته ولم يقطعها ثم رماه بثانية فأصابه فلم يقطع صلاته، ثم رماه بثالثة فأصابه، وحين ذاك أيقض صاحبه وقال: لولا أنّي خِفت على المسلمين ما قطعت صلاتي.

وما ذلك إلاّ لشدّة ما وجد فيها من الحلاوة. وسمعنا أن أحد الصالحين لما حضرته الوفاة أخذ يمتصُّ أصابعه فسُئل عن ذلك فقال: إن فيها عسل. والله أعلم .

ومن ثَمّ نجد أن السلف الصالح قد ذاق فعلاً هذه الحلاوة، فآثر محبة الله على عرَض الدنيا، فتجلّت محبتهم لربّهم بفعل طاعتهم لأوامره ومخالفتهم لنواهيه، وكذلك محبة رسول الله ﷺ ولا تُصبح هذه المحبّة حقيقية إلا لمن اطمأن قلبه للإيمان، وانشرح له صدره.

كتب عمر بن عبد العزيز إلى عديّ بن عدي: "إن للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً وسنناً فمن استكملها استكمل الإيمان. ومن لم يستكملها لم يستكمله". وقال معاذ: "اجلس بنا نؤمن ساعة". (انظر كتاب الإيمان- صحيح البخاري ص 1/1) ولعله يُريد نتذوّق حلاوة الإيمان لأن الإيمان يحضر ويغيب. ويزيد وينقص لقوله تعالى: ﴿ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم..﴾ وقوله﴿وزدناهم هدى﴾ وقوله تعالى: ﴿ويزداد الذين آمنوا إيماناً﴾ وقوله:﴿والذين اهتدوا زدناهم هدى وآتاهم تقواهم﴾ وقوله: ﴿أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً﴾ وقوله تعالى: ﴿وما زادهم إلاّ إيماناً وتسليماً﴾

نسأل الله المنان أن يمن علينا بالإيمان. اللهم يا مقلّب القلوب ثبِّت قلوبنا على محبّتك ومحبّة رسولك المصطفى. اللهم ارزقنا حلاوة الإيمان. اللهم ارزقنا حبك وحب من يحبك يا رب العالمين آمين والحمد لله رب العالمين.

من هدي رسول الله ﷺ

بسم الله الرحمان الرحيم، الحمد لله الذي منّ علينا بنعمة الإسلام وحبب إلى قلوبنا الإيمان والصلاة والسلام على خير من صلى وصام إمام المرسلين، سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في الله حتى أتاه اليقين، وبعد: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال، قال رسول الله ﷺ: "من نفّس عن مؤمن كربة من كُرب الدنيا، نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على مُعسِر، يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله عليه به طريقاً إلى الجنّة". (الحديث رواه مسلم في صحيحه، واحمد وابو داوود في سننهما والترمذي وابن ماجة وصححه ابن حبان)

إن الدارس لهذا الحديث يجد أن كل الطرق التي جاء بها تدلّ على أنه حديث صحيح، إلاّ طريق واحد اعترض عليه الدر اقطني وهي رواية عن الأعمش حين قال: -حُدِّثتُ عن الأعمش- فتبيّن أنه لم يسمعه مباشرة ولم يتصل فيه الإسناد. وقد ورد الحديث في الصحيحين مروياً عن ابن عمر رضي الله عنهما، وفي رواية مسلم نجد زيادة: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن نفّس عن مسلم". الحديث وفي رواية الطبراني نجد: -من نفس عن مؤمن كربة من كربه- عوض - من كرب الدنيا- وأيضا- من ستر على مسلم- بزيادة حرف الجر

على. وفي رواية أحمد نجد:- من يستر مسلماً في الدنيا- وأيضاً:- من نجّى مكروباً فكّ الله عنه كربة من كرب يوم القيامة-.

شرح الحديث:

١) قوله: "من نفّس على مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب الآخرة". نلاحظ هنا أن الجزاء من نفس العمل, ومثله: -إنما يرحم الله من عباده الرحماء- وإن الله يعذب الذين يعذبون الناس. والكربة تعني الشِدّة والضيق الذي يوقع صاحبه في الكرب, والتنفيس مأخوذ من تنفيس الخناق, والتفريج أعظم من التنفيس. لذا ورد فرّج الله عليه كربة من كرب الآخرة, وقد ورد هذا المعنى في كثير من الأحاديث. منها الحديث الذي أورده أبو قتادة أن رسول الله ﷺ قال: "من نفّس عن غريمه أو محا عنه كان في ظلّ العرش يوم القيامة". (رواه مسلم والإمام احمد في مسنده) وفي حديث أن رسول الله ﷺ قال: "أن رجلاً من أهل الجنة أشرف على أهل النار فناداه رجل من أهل النار: يا فلان, هل تعرفني؟ فيقول لا والله ما أعرفك من أنت؟ فيقول: أنا الذي مررت بي في دار الدنيا فاستسقيتني شربة من ماء فسقيتك, قال قد عرفتك قال فاشفع لي بها عند ربك". (رواه البيهقي) وقوله: كربة من كرب يوم القيامة, ولم يقل من كرب الدنيا والآخرة كما في المواضيع الأخرى, لأن الكرب من الشدائد العظيمة التي لا تحصل لكل الناس, ثم لأن كرب الدنيا مهما عظُمت فهي كلا شيء بالنسبة لكرب الآخرة. لذلك ادّخر الله الجزاء عنده لينفِس بها كرب الآخرة.

ب) قوله: من يسّر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة: دلّ على أن الإعسار يكون في الآخرة قال تعالى:﴿ فذلك يومئذ يوم عسير﴾ (المدثر9) والتيسير على المعسر يكون من جهة المال. قال تعالى: ﴿وإن كان ذو عُسرة فنظرة إلى ميسرة﴾ (البقرة 28) فدلّ على الوجوب. وقد وردت أحاديث كثيرة في الموضوع. منها ما رُوي عن رسول الله ﷺ انه قال: من سرّه أن يُظلّه الله يوم لا ظلّ إلاّ ظله فلييسر على مُعسر أو ليضع عنه". (رواه الطبراني عن ابي امامة اسعد بن زرارة)

ج) قوله من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة: الستر هنا نوعان. الأول: من كان مستوراً ألاّ يقع في المعاصي. فإذا وقعت منه هفوة فإنه لا يجوز كشفها. ولا التحدّث بها بدليل قول الله تعالى:﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة﴾ عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر. فنادى بصوت عال حتى أسمع العواتق في خدورهن ثم قال: "يا معشر من آمن بلسانه ولم يُفضِ الإيمان إلى قلبه. لا تُؤذوا المسلمين. ولا تُعيِّروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته. ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته".

الثاني: من كان مشهوراً بالمعاصي ولا يُبالي. فهذا لا يشفع ولا يُستر. والأولى أن يأتي الإمام ويُقِرّ على نفسه بما يوجب الحد. حتى يُطهّر. والأفضل في كل الأمور الستر حتى على النفس إذ لا يجوز لإنسان أن يتحدّث بما ارتكب من المعاصي.وقد لاحظنا أن كثيراً من الناس يفتخرون بما ارتكبوه من ذنوب كأن يقول الرجل لصاحبه(قضيت أجمل ليلة عند فلانة أو في شرب نوع من الخمور..)

د) قوله من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له به طريقاً إلى الجنّة: سلوك الطريق معناه: التماس العلم، ومنه المشي إلى العلماء، ومجالس العلم، ومن معاني سلوك الطريق: أيضاً حِفظ العلم ودراسته، ومذاكَرته، ومطالعته والتفهم له. ومعنى قوله سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة أن الله تعالى يُسهل العلم للذي طلبه، ويكون سبباً لهدايته، وقد يكون أيضاً تسهيل الطريق إلى الجنة يوم القيامة. كما في ظاهر اللفظ. ويدلّ عليه قوله ﷺ: إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يفعل.

ونختم هذا الباب بحديث جامع وشامل: عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فسأل: اي الناس أحبُ إلى الله تعالى؟ واي الأعمال أحب إلى الله عز وجلّ؟ قال ﷺ: "أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تُدْخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تطرد عنه جوعاً، او تقضي عنه ديناً، ولأن امشي مع مؤمن في حاجة أحبّ إليّ من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً ومن كفّ غضبه ولو شاء أن يمضيه امضاه ملّك الله قلبَه يوم القيامة رضىً ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يُثبِّتها له ثبّت الله قدميه يوم تزول الأقدام، وإن سوء الخُلق يُفسد العمل كما يُفسد الخلُّ العسل".

نسأل الله الثبات في الأعمال، أن يجعلنا من المحبين للعلم والعلماء وأن يسخّرنا لخدمة الصالح العام، وأن يتقبّل منا صالح أعمالنا، آمين والحمد لله رب العالمين.

مادة في التفسير

بسم الله الرحمن الرحيم أحمده تعالى وأستغفره وأتوب إليه، وأعوذ به أن يكلني إلى نفسي. والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله النبي الأمين . اللهم لا سهل إلاّ ما جعلته سهلاً. وبعد يقول الله تعالى: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها، ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمّرناها تدميراً...﴾ (الإسراء 16)

قال صاحب اللسان في مادة أمر: "قرأ أكثر القرّاء – أمَرنَا- بالمدّ والقصر -آمرنا- بمعنى أكثرنا. وهناك من قرأها بالتشديد فتأويله: ولّينا" (اللسان باب أمر) .وقال الفرّاء: "من قرأ أمرنا خفيفة فسّرها بعضهم : أمرنا مترفيها بالطاعة ففسقوا فيها. لأن المُترف إذا أُمر بالطاعة خالف إلى الفسق. وهذا يعني أن المعصية مخالفة للأمر. وذلك الفسق مخالف لأمر الله .. وهناك من قرأها بكسر الميم. أي أكثرنا مُترفيها. يُقال: أمِر القوم أي كثُروا". (معاني القرآن للفرّاء)

والأمر معروف وهو ضدُّ النهي ونقيضه. وأمره به يأمر أمراً وإماراً. وأمرته فائتمر. أي قبل أمره. وائتمر بالشيء إذا همّ به. وائتمر القوم إذا تشاوروا. والأمر يكون بمعنى الحال. جمعه : أمور . ومنه قوله تعالى:﴿ وما أمر فرعون برشيد..﴾ وأمر الله أي وعده. قال تعالى:﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه..﴾وقال جلّ شأنه:﴿ وما أمر الساعة إلاّ كلمح البصر..﴾

والأمر يأتي أيضاً بمعنى الطلب, جمعه: أوامر تقول أمرته بكذا أمراً إذا طلبت منه فعله, والفرق بين هذه والأولى في الجمع, فإذا كان الأمر بمعنى ضدّ النهي فجمعه: أوامر, وإذا كان بمعنى الشأن فجمعه: أمور.

والأمر مصدر لفعل أمَر بالفتح وأمِر بالكسر, وأمُر بالضم أي صار أميراً والاسم أمير والجمع أُمراء. والإمرة بكسر الهمزة اسم وهي الإمارة, والولاية والتأمير والتولية, وآمرته بمعنى شاورتُه وجاء في الحديث: "أميري من الملائكة" أي صاحب أمري.

وفي تاج العروس: المؤمر المحدد بالعلامات. وتأمّر عليهم تسلّط عليهم فهو مؤمر, ومعنى الحديث: "آمروا النساء في أنفسهن". أي شاركوهن في تزويجهنّ . وجاء في التنزيل :﴿إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك..﴾ قال بعض المفسرين: يتشاورون عليك في قتلك. وأمِر الشيء أمراً وإمرةً, أي كثر, وزرع أمِرٌ وامرأة أمرة, أي مباركة.

اختلف المفسرون في معنى الأمر في هذه السورة, فمنهم من ذهب فيه إلى أنه نقيض النهي, وهؤلاء اختلفوا في المأمور به, فالأكثرون قال إنه الطاعة والخير. ومنهم من أخذ الآية على المعنى الظاهر ثم أوّله. فالزمخشري في كتابه الكشاف قال: معناه: إذا دنا وقت إهلاك قوم بعد أن لم يبق من زمن إمهالهم إلاّ قليل أمرناهم بالفسق ففسقوا ثم أول هذا المعنى فقال: إن الله لا يأمر بالفحشاء . والفسق ههنا مجاز. ووجهه أنه صبّ عليهم النعمة فجعلوها ذريعة

إلى الفسق والمعاصي واتباع الشهوات. فكانت النعمة سبباً لإيثارهم الفسق. فكأنهم مأمورون بذلك". ثم رجع فقدّر المعنى- أمرناهم بالطاعة ففسقوا- (الكشاف ص 442 تفسير الآية 16 من سورة الإسراء)

ويردُ الطبري على هذا الرأي بعد عرضه فيقول: "ولقائل أن يقول كما أن قوله أمرته فعصاني يدلُّ على المأمور به شيء غير المعصية. من حيث إن المعصية منافية للأمر ومناقضة له. فكذلك قوله: أمرته ففسق يدُلّ على أن المأمور به شيء غير الفسق. لأن الفسق عبارة عن الإتيان بضد المأمور به. فكونه فسقاً يُنافي كونه مأموراً به. كما أن كونها معصية ينافي كونها مأموراً بها. وهذا ظاهر. فلا أدري لِمَ أصرّ جار الله على قوله مع ضعفه ومخالفته أصله". (تفسير الطبري المجلد:7 ص 18 ج 15)

وهناك من رأى أن معنى أمِرنا مترفيها. هو أكثرنا وبذلك تكون القِراءة بالميم مكسورة من أمِر إذا كثُر. لأن العرب تقول أمر القوم إذا كثُروا. وأمرهم الله إذا كثرهم. وحُجّتهم في ذلك حديث رسول الله ﷺ: "خير المال سِكّة مأبورة. ومهرة مأمورة". فالسكة المأبورة : النخيل المصففة. والمهرة المأمورة: كثيرة النتاج . لأن الحديث حُمل على معنى الأمر ضد النهي. أي قال لها الله تعالى: كوني كثيرة النسل فكانت. ومما استُشهِد به في هذا المعنى. أن رجلاً من المشركين قال لرسول الله ﷺ: إني أرى أمرك حقير. فقال ﷺ: -إنه سيأمر- أي سيكثر ويكبر.

ونختم برأي آخر في معنى أمرنا، وهو لمن قرأ أمّرنا بتشديد الميم، أي سلّطنا، وجعلناهم أمراء متسلّطين، لأن العرب تقول: تأمّر عليهم، وتسلّط عليهم. ومنه قول الله تعالى: ﴿ وما أنت عليهم بجبّار.. ﴾ (آخر سورة ق) أي متسلط. وهناك قراءة: آمرنا، وهي مثل قراءة أمرنا أي أكثرنا جبابرتهم.

خلاصة: إن الأمة الإسلامية اليوم قد اجتمعت فيها كل معاني أمر. فقد أمرهم الله بالطاعة ففسقوا وعصوا، فكثر الفساد في البر والبحر. وأمرهم: أكثرهم، وهم الآن يمثلون أكبر نسبة في العالم بالمقارنة مع باقي الملل. وأمّرهم فما أكثر أمراء العرب وإماراتهم. ولعل ما سُلِّط على الأمة الإسلامية من عدوّ هو نتيجة لترك الناس الطاعات وارتكاب المعاصي. وقد أخبر رسول الله ﷺ عن حالنا منذ خمسة عشر قرناً حين قال: يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها، قيل أمن قِلّة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ... فما أكثر عدد المسلمين في العالم، لكنهم ضعاف، تتكالب عليهم الأمم والدول ولا يخفى ذلك على ذي عينين نسأل الله تعالى ان يرد للمسلمين عزّتهم وقوتهم. آمين والحمد لله رب العالمين.

باب في انتزاع الملكية

(سبب هذا الدرس أن احدهم سألني عن موضوع انتزاع الملكية، وموقف الشرع منه)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله خالق الإنسان، ومنزل القرآن، ومعلم البيان، أحمده تعالى، الرزاق المنان، والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة، وجاهد في الله حتى أتاه اليقين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين إلى يوم الدين. أما بعد، فقد سألني سائل على حكم انتزاع الملكية، وما قول الشرع فيها، وما هي الحقوق التي يمكن أن يطالب بها؟.. لذلك اخترت موضوع هذه الحلقة لتوضيح بعض الأمور المتعلقة بالموضوع، مع بعض الإفادات. وأورد في البداية الحديث التالي: لمّا أراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه توسيع المسجد النبوي، عمل على إدخال أملاك للغير مجاورة إليه إلى رحابه باعتبار أن تحقيق النفع العام مسوغ شرعي لنزع الملكية الخاصة. فعمل على إحصاء هذه الدور، والعقارات، ودُعيَ أصحابها، وعرض عليهم الخليفة الأمر وقرارَه بضمِّ هذه العقارات على المسجد توسعة له لضيقه وشدّة الحاجة إلى هذه التوسعة التي تدعو إليها المصلحة العامة. فاشترى كل ما حول المسجد عن رضىً من المالكين إلاّ دار العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ، وحُجرات أمهات المؤمنين. فقال عمر بن الخطاب للعباس: يا أبا الفضل، إن

مسجد المسلمين قد ضاق بهم، وقد ابتعت ما حوله من المنازل توسعة بها على المسلمين في مسجدهم إلاّ دارك، وحجرات أمهات المؤمنين. أما حجرات أمهات المؤمنين فلا سبيل إليه. وأما دارك فبعنيها بما شئت من بيت مال المسلمين، وإما أحطّك حيث شئت من المدينة وابنها من بيت مال المسلمين، وإما تصدّق بها على المسلمين فيُوسَّع بها في مسجدهم. قال: لا ولا واحدة منها. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: اجعل بيني وبينك من شئت. فقال العباس: - أبي بن كعب- رضي الله عنه. فانطلقا إلى أُبي بن كعب ليحتكما إليه. فلما سمع من كل واحد منهما، قال: إن شئتما حدّثتكما بحديث سمعته من رسول الله ﷺ فقالا حدثنا. فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الله أوحى إلى داوود: ابنِ لي بيتاً أُذكرُ فيه. فخطّ هذه الخطة خطة بيت المقدس، فإذا بربعها زاوية بيت من بني إسرائيل، فسأل داوود أن يبيعه إياه، فأبى، فحدّث داوود نفسه أن يأخذه منه. فأوحى الله إليه:- أن يا داوود أمرتك أن تبني بيتاً أُذكر فيه. فأردت أن تُدخل في بيتي الغصب، وليس من شأني الغصب. وإن عقوبتك أن لا تبنيه. قال: يا رب فمن ولدي، قال: من ولدك".

لما سمع عمر رضي الله عنه هذا الكلام، أخذ بمجامع ثياب أُبي بن كعب رضي الله عنه وقال: جئتك بشيء فجئت بما هو أشدّ منه لتخرجني مما قلت، فجاء يقوده حتى أدخله المسجد فأوقفه على حلقة من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم أبو ذرّ الغفاري رضي الله عنه. فقال أُبيّ بن كعب: إني نشدت الله رجلاً سمع رسول الله ﷺ يذكر

حديث بيت المقدس، حيث أمر الله تعالى داوود أن يبنيه إلاّ ذكره، فقال أبو ذرّ: انا سمعته من رسول الله ﷺ فارسل عمر أُبيّاً لما سمع الخبر اليقين، فاقبل أُبي على عمر رضي الله عنهما فقال: يا عمر تتهمني على حديث رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: يا أبا المنذر لا والله ما اتهمتك عليه، ولكنني كرهت أن يكون الحديث عن رسول الله ﷺ ظاهراً، ثم قال للعباس: اذهب فلا أعرض لك في ذلك. فقال العباس رضي الله عنه: أمّا إذ فعلت هذا فإنّي قد تصدّقت بها على المسلمين اوسع عليهم في مسجدهم، فأمّا وانت تخاصمني فلا".

من أراد التوسع في هذا الحديث ليرجع إلى كتاب الدرر المنثور: ص 153 /4

استنتاجات

الاستنتاج الأول: الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يرى تقديم مصلحة العامة على الخاصة المتعلقة بالأفراد.

الثاني: نجده رضي الله عنه يحاول إرضاء المتخالفين بمختلف الطرق حتى يحصل على رضاهم.

الثالث: اجتماع المسلمين في المسجد في كل وقت وحِينٍ لمدارسة كتاب الله وسنة رسول الله. ودلّ عليه عدم انتظار وقت فتح المسجد

الرابع: انه عند حدوث خلاف الحاكم اصبح خصماً وعليه الالتجاء إلى القضاء

الخامس: على المتقاضي وإن كان صاحب سلطة أو حُكم أو نفوذ ان يسعى إلى القاضي، وأن يأتيه إلى مكان حكمه. وانه ليس على القاضي أن يتحول وينتقل لمباشرة القضاء وفصل النزاعات إلى مجلس أحد الخصوم مهما كانت منزلته. بمعنى نقول إن القضاء يُؤتى إليه ولا يأتي إلى احد.

السادس: على الحاكم أن يعتمد على النصوص التشريعية. وأن يطبّقها بغاية الإنصاف حتى ولو كان أحد المتقاضين من أصحاب النفوذ. وقد دلّ عليه اعتماد أبي بن كعب رضي الله عنه على نص حديث القدس واكده أبو ذر الغفاري رضي الله عنه .

السابع: على صاحب الحق ان يجهر بحقه. وان يرفع امره إلى القضاء .

الثامن: على المحكوم عليه أن يرضخ لما تصدر به الأحكام.

التاسع: تمحيص الحديث والتأكد من صحته. ونلاحظ أن الخليفة عمر بن الخطاب لم يقبل الحديث لأول مرّة. ونلاحظ كيف أخذ بمجامع ثياب أُبي بن كعب وهو دليل على حرص الصحابة رضوان الله عليهم على أن لا يتقبلوا الحديث لمجرد سماعه بل لا بدّ من الاحتياط خوفاً من أن يتسرّب إلى الحديث بعض التحريف.

العاشر: عدم جواز بناء المساجد على الأرض المغصوبة. وقد دلّ عليه حديث بيت المقدس. ولم يتجاوزه عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أتمنى أن يكون السائل قد فهم ما له وما عليه من هذا الدرس وأسأل الله العظيم أن ينفعنا بما تعلّمنا ،وأن يزيدنا علماً والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

1) مصحف القرآن الكريم
2) معجم البيان في تفسير القرآن، لأبي علي الفضل بن حسن الطبري
3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي
4) تفسير القرآن الكريم، ابن كثير
5) الكشاف، جار الله محمود بن عمر الزمخشري
6) معاني القرآن، الفراء
7) أسباب النزول، لأبي الحسن علي أحمد النيسابوري
8) صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري
9) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الحفظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني
1.) السيرة النبوية، لابن هشام
11) علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف
12) عمدة الفقه على مذهب الإمام أحمد، موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد قدامة المقدسي
13) قرة عيون الموحدين، الشيخ عبد الرحمان بن حسن
14) الاستعداد ليوم المعاد، عبد العزيز محمد سلمان
16) فضائل الأعمال، الحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي
17) شفاء الروح، أبو طلحة محمد يونس بن عبد الستار
18) العلم والعلماء، أبو بكر الجزائري



هذا الكتاب يتضمن مجموعة من دروس الوعظ والإرشاد، وبعض الأحكام المتعلقة بتصرفات الناس في شؤونهم الدينية والدنيوية، ومما يحتاجون إليه في معاشهم وحفظ دينهم ودنياهم وأعراضهم وأموالهم وعقولهم. وهو جزء من مجموع دروس ألقيتها في المساجد امتثالا لأمر الله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ وخوفا من سؤال الله عما فعلت بما تعلمت.

أسأل الله تعالى الرحيم الرحمن الكريم المنان أن يتقبل مني هذا العمل وينفع به العباد، آمين. والحمد لله رب العالمين.

المحتويات

مقـــدمة 4
إخلاص العبادة لله وحده 6
الحسنات والسيئات 11
إقامة الصف 19
آيات أدب الله بها عباده المؤمنين 24
قيم إنسانية من سنة خير البرية 30
آداب المسجد 35
فصل في الجهاد 39
حركة التنصير 43
التسرع في الفتوى 48
لا ضرر ولا ضرار 53
باب من أبواب صرف الزكاة 61
جلب المصلحة ودرء المفسدة 65
الصهيونية: تعريفها وأهدافها 70
الأضحيـــة 74
لمحات من السيرة النبوية 78
بعثة سيدنا محمد ﷺ 86
وإنك لعلى خلق عظيم 93
أفنجعل المسلمين كالمجرمين 97
فضل الاستغفار 101
حقوق الزوج على الزوجة 104
فذكر بالقرآن من يخاف وعيد 109
الاستخلاف في الصلاة 114
في ذكرى الإسراء والمعراج 118
قيم إنسانية من سورة يوسف 126
فضائـــل القرض 135
صدقات الضعفـــاء 139
كفـــارة المرض 143
عيـــادة المريـــض 147
مفهوم الرجولة في الكتاب والسنة 151
حلاوة الإيمـــان 157
من هدي رسول الله ﷺ 162
مادة في التفسير 166
باب في انتزاع الملكية 170
استنتاجات 173